جامعة محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فاس

طبيعة الحروب
في المغرب فى عهد السعديين

بحث لنيل الاجازة في التاريخ

اسم الطالب : السهلي جلالي
رقم التسجيل : 7861

تحت اشراف :
الاستاذ محمد مزين

السنة الجامعية : 1979 ـ 1980

جامعة محمد بن عبد الله
كلية الآداب والعلوم الانسانية
فاس

طبيعة الحروب
في المغرب في عهد السعديين

بحث لنيل الاجازة في التاريخ

اسم الطالب : السهلي جلالي
رقم التسجيل : 7861

تحت اشراف :
الاستاذ محمد مزين

السنة الجامعية : 1979 ـ 1980

مدخل

لايمكن التحدث عن السعديين بعيدا عن الحروب المختلفة التي عرفها المغرب على عهدهم لما لتلك الحروب من أهمية خاصة كأحداث بارزة في تاريخ المغرب ، ولمعركة وادي المخازن التي حققت فيها المغاربة انتصارا عظيما ضد التحالف المسيحي ، ثم حادث غزو السودان لدليل واضح على تلك الاهمية . كما ان تلك الحروب أثرت في مجرى تاريخ المغرب الذي سيعرف منعطفا جديدا داخليا و دوليا ، من هنا جاءت بالتالي أهمية دراسة طبيعة تلك الحروب الشيء الذي جعلني أنضب في بحثي المتواضع على هذا الجانب من التاريخ المغربي . وقد حاولت الالمام بتلك الطبيعة التي اختلفت من حروب لاخرى وبشكل كانت معه مرة دينية بينما كانت أحيانا أخرى سياسية أو اقتصادية رغم ما بها من تداخل في معظم الحروب السعدية .

الا أن جل المصادر لتاريخ المغرب جاءت في شكل أحداث تنصب على أشخاص الملوك و الوزراء و غيرهم من رجال الدولة الذين تعاقبوا على المسرح السياسي المغربي . في حين هي لا تجسد لنا الواقع المغربي و المتمثل في أحوال مختلف طبقات المجتمع . و حتى بالنسبة لما جاء في تلك المصادر تنعدم فيه الموضوعية التاريخية لكون جل مؤلفيها من وافدي البلاط ، و هي بهذا في حاجة الى دراسة و نقد لمحاولة استنباط الحقيقة العلمية منها .

وفي بحثي هذا حاولت أن أتوخى نقد الاحداث و مناقشتها و عدم التقيد بالتسلسل التاريخي وذلك قدر الامكان و بتوجيه من أستاذي المشرف . تلك المنهجية التي تحتم على الباحث دراسة الاحداث أكثر من سردها و بالتالي اتخاذها كدلائل

تدعم تلك الدراسة .

و حفاظا على البحث العلمي حاولت الرجوع الى المصادر الاصلية سواء مؤلفات معاصري تلك الفترة كالفشتالي في المناهل او غيره كالوفراني في النزهة ثم الى الوثائق و الرسائل المعاصرة كمجموعة المصادر الاصلية لتاريخ المغرب و التي جمعها دوكستري و غيره . كما رجعت الى مجموعة أخرى من المراجع العربية منها و الاجنبية * التي انصبت على دراسة تلك الحقبة . الا أنه هنا و خلال جمع المادة لا يمكن اخفاء المشاكل التي واجهتها . و ذلك أن بعض تلك المصادر و المراجع تنعدم تماما و أخرى ليست في متناول الطلبة بالاضافة الى العديد من المشاكل الاخرى في هذا الصدد .

و قد قسمت بحثي الى أربعة أبواب حاولت ان أخصص كل باب منها لطبيعة متميزة دون اهمال ما حتوت عليه من طبيعة أخرى ثانوية ، والالمام قدر المستطاع بالامكانيات السعدية الحربية لكل منها .

فخصصت الباب الاول للحروب السياسية وفيه اشرت لكل الاحداث ذات الطبيعة السياسية من صراعات داخلية و حروب أسرية و أخرى قبلية وصراعات كانت توجهها قوى خارجية . و في هذا الباب تعرضت للامكانيات الحربية السعدية و التكوين العسكري لها .

في حين تناولت في الباب الثاني الحروب الدينية و قد بينت في هذا الجزء طبيعة الاحتلال الايبيري للسواحل المغربية كما أشرت للروح الجهادية التي كانت توجه المغاربة نحو محاربة أولئك المسيحيين . وقد ركزت على الصبغة الدينية لمعركة واد المخازن .كما أنني لم اغفل دور الزوايا والرباطات في تلك الحروب .

بينما كانت الحروب الاقتصادية موضوع الباب الثالث،
و قد حاولت فيه توضيح اقتصادية تلك الحروب من خلال المنافسة
السعدية السودانية على أملاح تغازي، ثم الاسباب و النتائج
لغزو السودان . و قد ركزت على غزو المنصور للسودان لما له
من طبيعة اقتصادية صرفة .

أما الباب الاخير فقد اختلف نوعا ما من حيث صياغته
و تطرقت فيه لحركة الجهاد البحري . وقد تتبعت مراحل الحركة
القرصنية مبينا الطبيعة التاريخية و الاقتصادية و السياسية لها .
و في هذا الباب - الحروب البحرية - لم أغفل التحدث بايجاز
عن البحرية السعدية .

و ختاما ، لا يسعني و أنا أنهي عملي هذا الا أن أتقدم
بأخلص عبارات الشكر والامتنان الى أستاذي المشرف الاستاذ :
محمد مزين لما أسداه لي من توجيه و مساعدة ، في كتابة هذا
البحث المتواضع أفادتني في اتباع منهجية أكثر علمية .

مقدمة :

عاصرت الدولة السعدية احداثا خطيرة أثرت في مسيرتها التاريخية و أعطتها وضعا متميزا كما أرغمتها الى استعمال امكانياتها العسكرية في الحروب الكثيرة ، ذلك أن العالم الاوروبي كان قد عرف في تلك الفترة تطورات مهمة جعلته ينتقل من موضع الضعف و التفكك و النظام الاقتصادي المنغلق الذي كانت تسيره الانظمة الاقطاعية ، الى دور القوة و التفتح و سيادة العالم و التحكم في موارده .حدث كل ذلك بعدما انتشرت النهضة التي عرفتها المدن - الدول الايطالية في سائر العالم الاوروبي خاصة الغربي . و ما صاحبها من فقدان البحر الابيض المتوسط لاهميته، خاصة التجارة العالمية باعتباره صلة وصل بين الشرق و الغرب و المنفذ الوحيد بللوصول الى منتجات الشرق الاقصى . و بالتالي تحول تلك الاهمية للسواحل الغربية الاوروبية خاصة بعد حركة الكشوفات الجغرافية الاكبرى حيث تم الوصول الى توابل الهند عبر رأس الرجاء الصالح و مناطق المعادن النفيسة بالعالم الجديد .

و لقد صاحب تلك التطورات - بل وكنتيجة لها - من جهة، ذلك التحمس الشديد و التنافس الكبير بين الدول الاوروبية للحصول على المزيد من المستعمرات لكونها كانت أساس النهضة الاوروبية و مصدر رأسمالها .سواء من خلال الحصول على المعادن النفيسة و غيرها من المعادن الخام الاخرى المتواجدة بها و أيضا باتخادها سوقا خارجية لتصريف المنتجات المحلية و الحصول علي اليد العاملة الرخيصة . تلك المتطلبات التي كانت تعتبر أساسية للسياسة الاقتصادية التي كانت تنهجها تلك الدول الاوروبية . و من جهة أخرى - صاحب تلك التطورات -

ذلك الصراع الديني الناتج عن الانقسامات المذهبية وظهور دعاة الاصلاح الديني ، ذلك الصراع الذي كان السر الكامل وراء تحمس الكثير من الدول الاوروبية الكاثوليكية -والتي كان من ورائها البابا - كاسبانيا و البرتغال ، الى العمل على نشر المسيحية في العالم المكتشف و التربص بالديانة الاسلامية خاصة بعدما واجهت الحملات الصليبية نكسات في الشرق على يد العثمانيين . فكان نتيجة كل ذلك القضاء على الوجود الاسلامي بالاندلس بل و مطاردة المسلمين ومحاولة "تطويقهم في الشمال الافريقي .

من خلال تلك الاحداث كلها يبرز المغرب باعتباره موقعا استراتيجيا يخدم كل تلك التطورات الاوروبية ، وبحكم قربه من اوروبا و وقوعه على الطريق البحري الموصل الى توابل الهند و معادن العالم الجديد ، سارعت الدول الاوروبية الى احتلال مراكز مختلفة من سواحله ، أو على الاقل التدخل في شؤونه مستغلة ما كان لها من امتيازات اقتصادية في المغرب . لكن السؤال الذي يفرض نفسه: هنا هل كان اهتمام الاوروبيين بالمغرب هو فحسب قصد البلوغ الى متطلباتهم تلك و بالتالي لو لم تكن هنالك نهضة اوروبية لسلم المغرب منهم ؟ ام كانت هنالك أغراض أخرى جعلت ذلك التدخل بمثابة حتمية تاريخية ؟ و من جهة أخرى إذا كان الاوروبيون قد فرضوا تواجدهم في المغرب ، الى أي حد استفادت التنظيمات العسكرية المغربية من ذلك التواجد و الذي كان معززا بأنواع حديثة من الاسلحة ؟

غير أنه لم تكن الدول الاوروبية هي وحدها التي استرعاها المغرب بل كان الاتراك العثمانيون - هم الاخرين - ينظرون اليه بعين الاعتبار . فهم من جهة يمثلون القوة الاسلامية

و بالتالي كانوا يرون في توحيد العالم الاسلامي واجب على عاتقهم و من ثم كان عليهم التصدي للحملات الصليبية التي تتعرض لها تلك المنطقة الاسلامية ، و من جهة أخرى اذا تمكنوا من المغرب فقد يكونوا انذاك اكتسبوا موقعا استراتيجيا يمكنهم من مراقبة الحركة البحرية الاطلسية كما يمكنهم ذلك من حماية امبراطوريتهم من جانبها الغربي ومكتسباتهم الايفريقية من الخطر الاوروبي المتزايد. غير أن ذلك هو ما كانت تخشاه أيضا الدول الاوروبية لما سيسببه من عرقلة للحركة البحرية من طرف الاتراك ، بل أكثر من ذلك خطرا يتهددها هي نفسها اذا ما حاولت الدولة الاسلامية استعادة امجادها بالاندلس مما جعل المنافسة بين الطرفين تقوى خاصة و أن الاتراك كانوا قد نجحوا في ضم المغربين الادنى و الاوسط علي يد الاخوة بربا روسا . و من هذا الاساس عملت تلك القوات المختلفة جميع الوسائل للبلوغ الى مبتغاها من اطماع في المغرب ، سواء عن طريق القوة أو التحالف مع العناصر الثائرة ، أو عن طريق محاولة كسب المغرب عن طريق الدبلوماسية. لكن هل يعتبر ذلك التنافس عاملا يساعد المغاربة من كسب حلفاء يعملون على تقويتهم عسكريا و مساندتهم ديلوماسيا أم كان ذلك سببا في وضعهم في موقف حرج يستدعي ايجاد جبهتين و بالتالي رسم خطة عسكرية تتمشي وطبيعة ذلك الخطر المزدوج ؟

و اذا اعتبرنا ان الدولة العثمانية اقرب للمغرب من الدول الاوروبية باعتبارها دولة اسلامية ، يمكننا ان نتساءل عن مدى تاثيرها على القوة العسكرية المغربية ، سواء بالنسبة للتكوين العسكري والتنظيملت العسكرية . أو بالنسبة للعتاد الحربي ، خاصة فيما يتعلق بتكوين بحرية مغربية اذا ما علمنا ان الدولة التركية انذاك كانت من بين أقوى الدول البحرية حتى ان السلطان العثماني كان يلقب ب"ملك الحواتة " ؟ .

انطلاقا من جميع تلك الاحداث و التطورات يتبين لنا أن المغرب في تلك المرحلة كان هدفا لجميع القوى المتواجدة . و اذا علمنا ان الدولة الوطاسية الحاكمة انذاك حتى منتصف القرن السادس عشر كانت في حالة احتضار بعد ان تقلص حكمها المركزي ليقتصر على منطقة فاس . و اذا علمنا ايضا مدى التفكك الذي عم البلاد ، و ظهور عدة امارات و أسر مستقلة أو شبه ذالك عن الحكم المركزي نتيجة ضعف السلطة المركزية في بسط نفوذها و التصدي للاحتلال الايبيري ،مما ترتب عليه ظهور تلك الاسر المتزعمة لحركة الجهاد في المناطق الساحلية . أو نتيجة ما املته ظروف البعد عن مقر العيئة الحاكمة فاس فاستقلت عدة مناطق ، ذالك التفكك الذي نتج عنه افلاس للتجارة الصحراوية نتيجة الفوضى التي عمت البلاد وانعدام الامن وتظهور عام للاقتصاد المغربي سواء بالنسبة للفلاحة أو للطوائف الحرفية و بالتالي فقدان المغرب دور الوساطة بين المنتجات الايفريقية و المصنوعات الاوروبية . اذا علمنا كل هذا بالاضافة الى ما سبقت الاشارة اليه من اطماع خارجية حيال المغرب ، فكيف نفسر صمود هذا الاخير و تمكنه من الحفاظ على استقلاله - اذا ما استثنينا بعض الثغور الساحلية - بل و أكثر من ذلك سحقه لقوات البرتغاليين المعززة بالتواجد العسكري من مختلف الجهات الاوروبية في معركة وادي المخازن ، و توسيع رقعة المغرب حتى حدود تومبوكتو جنوبا ؟

إذن امام تلك التحديات كان على مغرب القرن السادس عشر ان يخوضعدة حروب و على واجهات مختلفة ، بما فيها تلك الواجهة المحلية و المترتبة عن تلك الثورات الداخلية التي تظافرت العوامل لخلقها بالاضافة الى الايادي الخفية التي كانت تحركها من الخلف . و من ثم كان الطابع العسكري يغلب على جل

مراحل التاريخ الدولة السعدية مما أعطى لدراسة ذلك الجانب العسكري أهمية خاصة غير أن الدراسة (عن الجانب العسكري) هي دراسة تستحق طرح جوانب متعددة ووقتنا أطول . و لعدم توفر هذه الاشياء ، فلقد كانت طبيعة الحروب السعدية هي التي تناولتها في البحث الذي بين يدي . لكن ما هي الطبيعة المميزة لتلك الحروب؟ و هل كان المغرب في حروبه تلك في موقف دفاع فقط ام كانت تحركه اغراض اخرى ؟

لقد تنوعت اهداف السعديين بل انهم اتجهوا في حروبهم تلك الى اهداف تكيفت وظروف كل مرحلة . كما إنه تظافرت عدة عوامل وراء تلك الحروب الشئ الذي اعطى لكل منها طابعا معينا. و كانت بعض تلك الحروب سياسية بينما غلبت الطبيعة الدينية او الاقتصادية على اخرى في حين تداخلت كل تلك الجوانب في بعضها الآخر . و الحقيقة ان ذلك التداخل سنجده يفرض نفسه على كل تلك الحروب . فما هي الحروب السعدية السياسية و الدينية و الاقتصادية ، و ما مدى التداخل المتواجد فيما بين تلك الحروب بشكل عام ؟

البــــاب الاول

الحــــروب السعديــــة السياسيــــة

- الحروب واسبابها واهدافها .
- الحروب ذات الطبيعة الاسرية .
- الحروب ذات الطبيعة القبلية .
- حروب تدخلت فيها القوى الخارجية .
- امكانيات السعدية لمواجهة الحروب الداخلية .

ان تمييز الحروب السعدية الى حروب سياسية و دينية واقتصادية يعتبر من الصعب بمكان . ذلك ان هذه الجوانب بكاملها تتداخل و تتشابك في مختلف الحروب التي عرفها السعديون .
و الطريقة التي اتبعتها في ذلك التمييز هو محاولة رصد مجموعة من الاحداث و الظواهر ، من خلال تلك الحروب ، التي تتركنا نحدد طبيعة تلك الحروب انطلاقا من تلك الغالبة على بعضها سواء سياسية او دينية او اقتصادية وبشكل تكون معه احداها رئيسية في حين ما دونها ثانوي ؛ و بمعنى آخر اذا كانت الدوافع الدينية في مقدمة الحروب السعدية مثلا في مواجهة التدخل الايبيري بالاضافة ، كأسباب ثانوية ، للدوافع الاقتصادية و التي تتجلى في المنافسة التجارية المغربية البرتغالية ، أو السياسية باعتبارها أساس تدعيم النفوذ السعدي السياسي ، فان الدوافع السياسية كانت في مقدمة مختلف الحروب الداخلية السعدية على أساس ان ما دونها من الدوافع كانت ثانوية ، وهكذا . فما الاعتبارات التي يمكن الاعتماد عليها لتزكية الطبيعة السياسية لتلك الحروب الداخلية ؟

ان الصراع المستمر الذي عرفه المغرب خلال النصف الاول من القرن السادس عشر حول السلطة المركزية بين مختلف الامارات الشبه مستقلة ، كما ان الاختلافات الاسرية و الاحداث الدموية بين الامراء السعديين حول العرش ، بالاضافة الى الانتفاضات القبلية و الثورات المتكررة ضد السعديين ، و التي عكست من جهة ضعف السلطة المركزية (السعدية) في بسط نفوذها في جميع انحاء المغرب و من جهة اخرى كانت دليلا على مدى قوة المعارضة الداخلية و من جهة ثالثة كانت فرصة لم تتركها الدول الاجنبية تضيع للتدخل في المغرب لضمان مصالحها المتشعبة .
كل تلك الاحداث و غيرها جعلني اضم مختلف تلك الحروب الداخلية

في اطار الحروب السياسية . فما الاسباب والاهداف الكامنة وراء تلك الحروب ؟ ..

1) الحروب واسبابها واهدفهما :

كان على الدولة السعدية الناشئة ان تخوض عدة حروب منذ ظهورها وذلك من أجل ترسيخ أركانها مستغلتا الوضع المغربي المتدهور والانقسامات المتعددة بعد ان فشلت الحكومة المركزية بفاس (الوطاسيين) في بسط نفوذها على مختلف المناطق المغربية وتقاعس هذه الاخيرة عن القيام بمهمة الجهاد ضد المحتلين الايبيريين و كانت الحروب التي خاضها السعديون ضد الوطاسيين ابرز مثال على ذلك حيث انه بالقضاء على هؤلاء و" ... بسط نفوذهم على مكناس وسلا والعرائش وتطوان وشفشاون .." (1) تم للسعديون البروز السياسي على الساحة المغربية في حين أخذ النفوذ السياسي الوطاسي في الافول تلك الحروب التي دفعت الوطاسيين والسعديين الى ابرام الهدنة مع العدو المشترك - البرتغال - " اذ لم يترددا (أحمد الاعرج ومحمد الشيخ) من ابرام عدة هدنات مع البرتغاليين ..)[2] كما يتضح من خلال رسالة موجهة من أحمد الاعرج وأخرى من طرف محمد بن أحمد يطلبان فيها من قبطان آسفي Garcia de Mello " .. إذا أراد قبول الصلح "(3) ذلك ا لقبطان الذي إلتجأ اليه لنفس الغرض أعداء السعديين حيث أن القائد العطار حاكم تادلة الوطاسي "... قد عرض عليه باسم سلطان فاس السلم والتعاون ضد السعديين"..[4] مما جرد تلك الحروب من كل صبغة دينية وبات الصراع السعدي

---

1) المصادر الاصلية لتاريخ المغرب المجموعة 1 فرنسا ، ص 123.

2) Histoire du Maroc : H. Terrasse P. I20 .

3) م ا ت م: مج :1 : المجلد الاول ص 356 .

4) د. عبد الكريم كريم . المغرب في عهد الدولة السعدية ص 53 الطبعة الثانية .

الوطاسي في حلته السياسية الصرفة .

غير أنه لم يكن الطموح السعدي من أجل الوصول الى الحكم المركزي للمغرب وحده السبب في تلك الحروب الداخلية ، بل كان للتنافس حول العرش بين افراد الاسرة الحاكمة هو الاخر دورا مهما في تلك الحروب فيما بدا لنا جليا من خلال الثورات المستمرة الذي تزعمها بعض افراد الاسرة الحاكمة والتي اذكتها أما النزعة القبلية التي ما فتئت تعاود ظهورها بين الحين والاخر . واما الايادي الخفية الاجنبية والتي وجدت في تلك الحروب وترا حساسا يتجاوب ومصالحها المختلفة .

كل تلك الأسباب جعلت الحروب المترتبة عنها ذات طبيعة مختلفة حسب الغاية المتوخات من خلالها . فمرة تغلب عليها الطبيعة الاسرية وأخرى القبلية بينما كان التدخل الاجنبي في اخرى سمة بارزة .

2) حروب ذات طبيعة أسرية :

في سياق تلك الطبيعة السياسية للحروب السعدية تبدو لنا خيوط الاحداث الدموية ذات الصبغة الاسرية جلية بشكل يجعلها متميزة . فما هي الاسباب الكامنة وراء تلك الصفحة الدموية الاسرية في وقت كانت فيه السيادة المغربية مهددة من طرف الاطماع ا ا الخارجية ؟ .

سطر محمد القائم بأمر الله قبل وفاته قانون ولاية العهد لمن سيخلفه من السعديين على أساس " ..الا يتولى الخلافة منهم (ابناؤه)ولا من اولادهم الا الاكبر فالاكبر .. "(1) وبما أن هذا القانون كان يحتم على السلاطين السعديين الا يولوا ولاية العهد الى ابنائهم - الا في حالة تعذر كبير في الاسرة - فقد كانت اية محاولة

1) الوفراني : نزهة الحادي لاخبار ملوك القرن الحادي ص 55 .

للخروج عن تلك المسطرة تسبب رد فعل كبير من لدن الشخص الذي انتزعت منه حق ولاية العهد والذي كان غالبا ما يجد مساندة قوية من طرف رجال الدين و العلماء ولا يسعنا هنا الا أن نقف في هذا الصدد عند رأي هؤلاء العلماء من هذه القضية بالذات أثناء ردهم عن رسالة المتوكل حيث يبينون فيها حق عبد الملك في ولاية العهد(1)

غير أن بعض الامراء السعديين تفاديا لمثل تلك المطالبات الشرعية، ولضمان ولاية العهد لأبنائهم عملوا على تنحية أولائك المطالبين بالعرش اما جسديا، كما حدث مثلا في المدبحة التي قام بها عامل مراكش أبو بكر ازناكك والتي راح ضحيتها أحمد الاعرج وأبناؤه و قد توخى من ورائها توطيد الامور لعبد الله الغالب، او عن طريق الترهيب والسجن مما كان يدفع الكثير من أفراد الاسرة الى الفرار خارج الدولة. وفي الحالتين كانت النتيجة واحدة فأما التصفية الجسدية فهي في حد ذاتها صفحة دموية كانت تسجل في تاريخ الاسرة، وأما التصفية (الترهيبية) هي الاخرى كانت غالبا ما تنتهي بثورات أولائك الذين كانوا يتحينون الفرص للتعبير عن مطالبهم المشروعة سواء من داخل البلاد أو من مقر منفاهم، فكان ذلك سببا في قيام حروب أسرية اختلفت في ضراوتها حسب النفوذ الذي استطاع المطالب بالعرش تكوينه حوله وحسب الصعوبة التي وجدها الحاكم الفعلي في اخماد ثورته. وفي الاخير كانت القوة هي التي تحدد النتيجة اما بالقضاء على الثورة والتصفية الجسدية للمطالب بالعرش أو نفيه، واما تنحية الحاكم المغتصب ومطاردته وبالتالى ان لم يقتل كان يلجأ الى أعداء الدولة.

لكن تعميم هذا السبب على كل تلك الحروب الاسرية بل وجعله السبب الوحيد لها فيه نوع من المبالغة. ذلك انه كما سبقت الاشارة الى ذلك فقد تداخلت الاسباب السياسية مع غيرها من

---

1) الوفراني : مصدر سابق ص 71-72.

الاسباب ، فقد يكون للجانب الاقتصادي دورا في إذكاء تلك الحروب كمثلا الخلافات الناجمة عن تقسيم الغنائم ، كما يمكن ان تكون دينية وبالتالي كرد فعل لتقاعس بعض السلاطين عن القيام بواجبهم الجهادي أو لتنازلهم عن بعض الثغور " للعدو الكافر " - وان كانت كل تلك الاسباب لا تخلوا من أهداف الطموح الخاص و المصلحة ا. .

الشخصية - كما قد تكون نابعة من طبيعة الحكم السعدي الاحتكازي ولعهد المنصور احسن دليل على ذلك والذي " رأى ايده الله ان يرسي بهم (أبنائه) قواعد ملكه :.فجرد لهم العساكر وعقد لهم الجهات وقسم بينهم المماليك .. " (1) . فيكون احتكار المناصب تلك من طرف الامراء السعديين - خاصة مع فشل قضية ولاية العهد وسقوطها عن المأمون ، ولي العهد الشرعي ، لما عرف به من فساد الاخلاق بشكل جعل ابوه يودعه السجن - ساعد الامراء السعديين على تكوين شعبية اقليمية ادت الى روح المنافسة بينهم .

غير أن تلك الخلافات الاسرية و الحروب المترتبة عنها لم تخدم مصالح الاسرة الحاكمة بقدر ما عادت عليها وعلى المجتمع المغربي بعواقب وخيمة ، اذ انه بالاظافة للجانب الدموي سواء بالنسبة للاسرة ذاتها بشكل جعل الحكام السعديون يبدون أكثر استبدا استبدادية ، او بالنسبة للمجتمع المغربي الذي عانى من تلك الحروب الشئ الكثير من خلال تلك الحروب ذاتها أو من خلال بعض المذابح والتوبيخات التي غالبا ما الحقها الحاكم المنتصر لمؤيدي منافسة سواء على مستوى الافراد أو على مستوى المجموعات البشرية من طبقات اجتماعية معينة أو قبائل و ما الى ذلك . بالاظافة لهذا الجانب ، و الذي كان له أكبر تأثير في انخفاظ النمو الديموغرافي في المغربي في تلك الفترة ساعدت - تلك الحروب - على تسهيل عملية

---

1) الفشتالي : مناهل الصفا لأخبار موالينا الشرفا (ت:كريم) ص 92 .

التدخل الاجنبي في المغرب كما أنها أذكت النعرات العصبية والقبلية التي وجدت في المتمردين الشرفاء وسيلة للتعبير من خلالها عن نزعاتهم . كما أنها من بين العوامل التي ساهمت في تدهور اقتصاد المغرب وتهديد التجارة الصحراوية لإنعدام الامن والاستقرار ، هذا كما شجعت على ظهور مراكز شبه مستقلة خاصة بعد وفاة المنصور - وفي النهاية كان سببا مباشرا في سقوط تلك الدولة . وقد كانت هذه الحروب الاسرية فرصة لتجدد النزعة القبلية في المغرب حيث إن القبائل المغربية وجدت في ا " السعديين المتمردين ضالتهم المنشودة للتعبير عن نزعتهم تلك .

3) حروب ذات طبيعة قبليـة :

كان للعقل العصبي الذي تحدث عنه العلامة ابن خلدون في مقدمته ، والذي ظل عقلا واعيا ومؤشرا في أحداث المغرب الى ما بعد دول العصبيات ، دور مهم في تلك الحروب الداخلية وإذكائها وإذا كان ابن خلدون قد رأى في العصبية شرطا اساسيا في قيام الدول بتدعيم من الدعوة الدينية فهو في المقابل كان يرى في " ... ان الاوطان الكثيرة القبائل والعصائب قل أن تستحكم فيها دولة . " (1) فالى اي حد كانت استنتاجات ابن خلدون تلك تنطبق والواقع المغربي في عهد السعديين ؟ .

لقد بنى ابن خلدون فكرته تلك من واقع المغرب المرابطي والموحدي على الخصوص ، حيث انه اعتمد المرابطون على العصبية اللمتونية بتدعيم من المذهب المالكي ، والموحدون على العصبية المصمودية والفكرة الدينية المهدوية التي تبناها ابن تومرت . كما ان ادارة المخزن المريني سارت على نفس قواعد

---

1) ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون ص 164 الطبعة الاولى 1978 .

التنظيم القبلي حيث ان ادارتها كانت اشبه بحكم عدد من القبائل على القبائل الاخرى بشكل جعل قبائل بنو مرين وبعض فروع زناتة و بعض القبائل العربية الاخرى مثل بنو زغبة والاسباغ وبنو معقل هم سادة الدولة على حساب قبائل صنهاجة و مصمودة وغيرها مما تسبب في تدهور الوضع الداخلي وتلف الوحدة المغربية الى الانقسامات من جديد وأخذ المسلمون يفقدون ممتلكاتهم الاندلسية بل أخذت الاطماع الخارجية تتزايد على المغرب . من هذه الاوضاع المتدهورة - بالرغم من المحاولات الوطاسية لايجاد الحلول لذلك - أخذ المغاربة مع بداية القرن السادس عشر يبحثون عن من يشد أزرهم ، و كانت الدعوة السعدية النابعة من التعاليم الجازولية هي التي رأوا فيها المنقذ بعدما أهلها نسبها الشريف للقيام بذلك الدور .

كان على السعديين - هم الاخرين - الارتكاز على عصبية معينة لذلك حاولوا كسب ثقة وولاء بعض القبائل المغربية ، و قد نجح السعديون في ذلك وكونوا منهم قبائل المخزن و التى اقطعتها الدولة أراضي شاسعة و في مناطق استراتيجية مقابل الدعم المادي و الخدمة العسكرية و تلبية دعوة الجهاد حيث إن تلك القبائل كانت تنضم في حالة الحروب الى الجيش النظامي " بموجب تضامن اللف " ، ذلك الحلف القبلي الذي كان يحفظ التوازن السياسي - الترابي لمنطقة معينة (1) . وقد كون السعديون من تلك القبائل فرقا عسكرية - ضمن الجيش النظامي - تحمل اسم القبيلة المنتمية اليها كجيش سوس وجيش الشراقة وغير ذلك . وكانت لبعضها مهام معينة مثلما كان للأندرايين من دور في نقل الاسلحة La force de tradtion والقيام ببعض أعمال أخرى كحفر الخنادق أو حمل الجرحى مما جعل وجود هؤلاء " الاندرايين ضروري ضمن الجيش السعدي ... " (2)

---

1) Hesperis (I972) P. 62 (A. Dzinbinsky) . (1

2) Ibid — 2) نفس المرجع ص 72 .

او مثل عرب بني معقل الذين استوطنوا في الشمال "... كانوا يشكلون الخيالة الثقيلة ... " (1) . وقد كانت معظم تلك " القبائل معفية من اداء ضريبة النائبة مقابل الخدمة العسكرية[2].

وفي مقابل هذا الصنف من القبائل الموالية كانت هناك اخرى تحالفت دائما مع المعارضة لانهم حسب الفشتالي قوم "...طالما شقيت بهم الدول ... " (3)، سواء كانت تلك المعارضة داخلية كما اتضح من خلال الثورات الداخلية حيث وجدوا فيها وسيلة للتعبير عن نزعتهم ، او كانت ممثلة في دولة اجنبية كما اتضح من خلال ولاء بعضهم وطاعتهم للبرتغاليين. واحيانا اخرى كانت تعلن تمردها عن طريق رفضها لاداء واجب النائبة او ما شابهها من اشكال الضرائب الاخرى . او انها كانت ترفض القيام بواجب الخدمة العسكرية . لذلك عمد الامراء السعديون الى استئصال شأفتهم اما عن طريق عمليات التأديب او نزع خيلهم واحيانا اخرى عن طريق تحويلهم من مناطقهم الاصلية الى مناطق اخرى . ولقد " استرجعت القبائل البدوية والعربية والمستعربة اهميتها العسكرية بانضمامهم الى جانب مختلف مدعي الحكم . "(4) خاصة بعد المنصور . وخشية من تلك المعارضة - حسب Marmol - لم يلجأ الامراء السعديون الى التعبئة العامة (الحركة) في حروبهم الا في حالات نادرة لما في ذلك من اشعارهم بقوتهم من جهة وخوفا كذلك من وضع الاسلحة النارية بين ايديهم (5) .

وقد كانت بعض الحواضر المغربية تشكل نوعا آخر من اشكال القبلية . فاذا كانت احداها كمراكش قد ساندت

---

1) مجلة
2) نفس المرجع ص 65 .
3) الفشتالي ، مصدر سابق ص 102 .
4)
5) نفس المرجع ص 66.

1) Hesperis (1972) op-cit P. 66 .

2) Ibid

4) Hesperis op-cit P. 70 .

5) Ibid

التواجد السعدي فان اخرى مثل فاس قد تشبثت منذ البداية بعدم الخضوع سياسيا لمراكش وقد تمثل ذلك في تمسك اهل الحل و العقد بها بالوطاسيين رغم الهزائم التي مني بها هؤلاء كما ان فاس كانت مصدر متاعب للسلاطين السعديين مما حال دون اتخاذها مقر الحكم المركزي . وقد استطاعت فاس تحقيق غايتها في اعادتها للدور القيادي عندما اصرت على بيعة زيدان بعد وفاة المنصور .ومن هنا كان دور فاس ضعيفا ضمن الجيش السعدي و لم يتم دمجهم الا من طرف السلطان المعتصم " ... لانهم حتى هذا الوقت كانوا يعتبرون شديدي التشيع للوطاسيين اعداء الحكم الجديد ... " (1) .

هذه الثورات الداخلية سواء الاسرية منها او القبلية كانت فرصة ثمينة استغلتها القوى الخارجية للتدخل في المغرب ، فما هي أشكال هذا التدخل ؟ .

4) حروب تدخلت فيها القوى الخارجية :

لقد طبعت تلك الحروب السياسية سمة لا تخلو من اهمية في احداث المغرب وقد كانت سببا ونتيجة في نفس الوقت ، تلك هي التدخلات الاجنبية - برتغالية واسبانية وتركية - والتي وجدت في تلك الحروب الداخلية فرصة سهلت عليها عملية تحقيق اطماعها بالمغرب لما لهذا الاخير - كما سبقت الاشارة - من موقع استرتيجي يخدم طموحات تلك القوى الاقتصادية منها والسياسية باعتبار الصراع الذي كان بين تلك القوى نفسها . والديني لما عرفته تلك الفترة الزمنية من تطورات دينية سواء بالنسبة للديانة المسيحية ذاتها او بالنسبة لتجدد النعرة الصليبية .

و قد سهل عملية التدخل تلك عدم وجود مقاومة سعدية صريحة - كما سيتضح من خلال الباب التالي - بل على العكس وجدت تلك الدول في الامراء السعديين بعض القابلية - الغير المباشرة -

---

1) Hesperis ، مرجع سابق ص 68 .

لتواجدهم ، وذلك من خلال ما ابداه هؤلاء في الرغبة من ابرام هدنات وتحالفات معهم بل و الوقوف بالتالي مواقف اسلبية حيال الوحدة الترابية المغربية بالتنازل عن بعض المراكز او الثغور لاولائك المحتلين - خاصة الاوروبيين منهم - او بعدم استغلال الانتصارات المغربية لتطهير ما تبقى من مناطق نفوذ اجنبية و قد كان بامكانهم ذلك ، كما هو الحال مثلا بالنسبة للغالب و موقفه من حصار البريجة او عدم استغلال انتصار القصر الكبير ضد البرتغاليين وما الى ذلك من مواقف سلبية اخرى . وقد كانت استصراخات مطالبي العرش ، الذين ما فتئوا يسعون الى طلب العون الخارجي اما لاسترجاع نفوذهم او للمطالبة بحقهم في تولية الحكم ، الذريعة الثمينة التي استغلتها الدول الخارجية في التدخل المباشر في المغرب لا للعمل على اعادة مطالبي العرش الى مراكز نفوذهم وتقديم العون لهم كما يتبادر للذهن بل للبلوغ الى اهدافهم التوسعية .

من هنا كانت ايادي تلك الدول حريصة ليس فقط على تقديم تلك المساعدات بل الى العمل على تحريض بعض العناصر و الوقوف الى جانبها . لذلك فقد حرص حكام تلك الدول على "...الحفاظ على ضيوفهم كورقة ثمينة للعب بها عند الحاجة ..."(1) وقد كانت ادنى ما قدمته تلك الدول للثائرين هي الحماية في حالة فشلهم ، او ما يعرف بمصطلح العصر الحالي بحق اللجوء السياسي ، حيث انهم كانوا يجدون في تلك الدول مأوى يقيهم شر غضب الحكم المركزي ، ويتيح لهم فرصة الاستعداد لمعاودة محاولتهم . واذا كان علينا ان نسوق مثلا عن تلك التدخلات تكون

---

1) مجلة Hesperis (1953) (J. Pianel) P. 512 .

ثورة الناصر ابرز مثال حيث تجلت الاهداف الاسبانية واضحة وراء تمويل حملة الناصر ، بحيث انه " ... لما عضم على الطاغية (فليب الثاني) شحد عزائمه (المنصور) الماضية (فتح جزيرة الاندلس)... امنى الناصر لتفريق الكلمة وتحريك حوار الفتنة ... " (1) خاصة بعدما احس الملك الاسباني بالاظافة الى تلك العزائم ، ثقل الانتصار المغربي وخطر التقارب التركي المغربي .

تلك التدخلات المتكررة تركت بصماتها على المجتمع المغربي ليس فحسب للجانب الاجتماعي ، حيث اصبح المغرب يضم اطوائف بشرية متنوعة وعرف عادات وتقاليد مقتبسة ، بل ايضا على الجانب العسكري حيث سنجد الجيش السعدي يحدث تنظيمات عسكرية جديدة متأثرة بتنظيمات عسكرية خارجية كما هو الحال بالنسبة لبعض التسميات والالقاب التي اخد يتسمى بها بغض قواد او فرق الجيش المغربي لاول مرة ، او من خلال استعمال اسلحة حديثة و نظام وتكتيك حربي حديث ظهرت فيه التأثيرات (العجمية) جلية ، فظهرت بين صفوف الجيش فرق عسكرية متخصصة متكونة من ابناء الدول الاجنبية على غرار الانكشارية ، والتي كانت ضمن الفرق المقربة من السلطان - كفرقة الحرس الخاص - وكانت تزود باحداث الاسلحة النارية وكان لها في بعض الاحيان دور القيادة . واذا ما تساءلنا عن سبب كثرة هؤلاء العجميين ، من اتراك ومرتزقة وحتى من موريسكيين ضمن الجيش السعدي ، نجد انه " ... كان السلاطين يؤدون اجرة مرتفعة مما ادى الى وجود مرتزقة في مختلف التخصصات العسكرية سواء اتراك او اوروبيين "(2) كما يفسر ذلك ايضا " ... سياسة تجنب الثورات العسكرية ... بحيث انه توجد دائما هنالك امكانيات لارسال ، فصائل اخرى معادية للفصائل الثائرة ... " (3) .

---

1) الفشتالي ، مصدر سابق ص 171 .
2) مجلة
2) Hesperis (1972) op-cit P. 84 .
3) نفس المرجع ص 84 .
3) Ibid :

غير انه من الملاحظ ان الشعب المغربي كشعب ، لم يكن راضيا لذلك التدخل ولا بتلك المواقف التي كان يقفها الامراء تجاه الطامعين فقد كان ذلك يمس احد الشروط للخلافة وهو الجهاد، بل مجرد التعامل مع اعداء الدين كان يجد نوعا من التنكر من طرف العلماء . كما ان تواجد مختلف تلك الطوائف الاجنبية ضمن الجيش المغربي سبب للشعب متاعب كثيرة من جراء اعمال النهب و الشغب واثارة الفوضى . كما ان نفعها لم يكن أكبر من ضررها حتى بالنسبة للحكام لانهم كانوا سبب متاعب لما وجدت فيهم اممهم من وسيلة استغلتها لتثبيت نفوذهم وبلوغ مقاصدهم العدائية. كل هذا ارغم السعديون على استعمال امكانياتهم المختلفة في مواجهة تلك الحروب الداخلية .

5) الامكانيات السعدية لمواجهة الحروب الداخلية :

لقد اتضح لنا ان الحروب الداخلية (السياسية) كانت مصدر متاعب بالنسبة للسعديين الشئ الذي اجبر هؤلاء على استخدام امكانياتهم العسكرية مما يحتم علينا ، قبل ان نختم هذا الفصل، التطرق الى دور الجيش السعدي في تلك الحروب خاصة اذا علمنا ان الجيش كان بالنسبة للدولة السعدية - و التي وصلت الى الحكم عن طريق الحرب - احدى الدعائم الرئيسية بل واكثر من ذلك فقد كانت " ... التنظيمات الداخلية معتمدة على القوة العسكرية ... اذ لم يكن هناك فرق بين الحكومة المدنية والعسكرية "(1) ، حيث ان القادة العسكريين كانوا هم رؤساء الادارة المدنية و ان الجيش هو الذي كان يشرف على جمع الضرائب .

لقد حرص الامراء السعديون على تكوين جيش نظامي (المخزنية) ويخضع لتدريبات منتظمة ودائم الاستعداد . وكان عدد هذا الجيش يرتفع وينخفض حسب الحاجة و يتزايد و تقلص

1) مجلة Hesperis 1972 ، مرجع سابق ص 61 .

الخطر الخارجي على الخصوص . وقد كان يتكون من عناصر مختلفة مغربية واجنبية ، وبالرغم من الاختلافات العرقية لهذا الجيش والتي كانت سببا في نزاعات دائمة بينها ، فقد احسن السعديون استغلال تلك النزاعات لإحباط الثورات العسكرية - كما سبقت الاشارة - وفي هذا الصدد ايضا كون السعديون فرقة عسكرية تقوم بدور مزدوج وهي فرقة اهل الرقاب (او الحرس الخاص) ، والذين كانوا من جهة يقومون بوظيفة الحراسة والاعمال التي تتناسب وهذه المهمة، ومن جهة اخرى كانوا " ... يقومون بمهمة الشرطة العسكرية ..."(1) ولخطورة هذا الدور فقد كانت هذه الفرقة من " ... احسن الفرق اجرة ... بالاظافة لتفوقها التجهيزي باحسن الاسلحة ... " (2)النارية منها على الخصوص وكان اغلب افرادها من المرتزقة الاوروبيين والاتراك لما وجد فيهم السعديون من ثقة قد تنعدم في العناصر الاصلية .

ولخلقه قوة عسكرية حديثة عمل السعديون على تجهيز الجيش باحدث وسائل الدفاع وفي مقدمتها المدفعية وقد " ... اشترى السعديون المدافع الاولى عن طريق المهربين الاوروبيين ... " (3) او بواسطة التجار الاوروبيين وخاصة الانجليز والفرنسيين والهولنديين بحيث انه بفضل هؤلاء " ... فان المعدات الحربية على كل نوع لم تنعدم بالمغرب ... " (4) كما ان غنائم الحروب هي الاخرى ساهمت في تزويد الجيش السعدي بمعدات حربية مختلفة فمثلا في معركة ابي عقبة " ... حصل السعديون ... على 36 مدفع ميدان برونزي "(5)

---

1) مجلة Hesperis-72 ، مرجع سابق ص 87.
2) نفس المرجع و الصفحة .
3) نفس المرجع ص 71 .
4) نفس المرجع ص 67.
5) نفس المرجع ص 71 .

كما كان للسعديين من " ... خزائن البارود المتراكمة قناطره المقنطرة ... و من خزائن الرصاص المعدة لحصى القذف وبندقا للرمي و من الانفاظ الثقيلة الاجرام المعدة لإرسال الصواعق القاصفة الدوى ... " (1) ، و قد كان نوع من التخصص فى صفوف الجيش السعدي مثل جيش المدفعية او القربينيين او الرماة و ما الى ذلك .

ولم يقتصر السعديون على الاسلحة الاجنبية بل سعوا الى خلق اسلحة محلية وقد توفرت فعلا نتيجة لجوئهم الى تشييد مصانع الاسلحة على مختلف انواعها من مدافع وبنادق وبارود خاصة بعد اكتشاف مناجم النحاس . و قد استعمل في هذه المصانع ، والتي كانت متواجدة في مراكز متعددة ، متخصصون اجانب .

و لتوفير كل تلك المتطلبات العسكرية وتكوين مثل ذلك الجيش كان لابد من ايجاد خزينة عسكرية . وقد سعى السعديون الى ايجادها منذ بداية عهدهم عن طريق فرض ضرائب خاصة مثل النايبة و التي كان " ... لا ينزه عنها احد ... " (2) او عن طريق جمع الزكوات والعشور وغنائم الحروب . او ما كان من ضرائب اخرى غير مباشرة كتلك المتمثلة في جمع العلف للدواب او المؤن من بعض القبائل في حالة الحرب ، والقيام بالخدمة العسكرية وتلبية الدعوة للجهاد (الحركة) بدون مقابل . من جهة اخرى استغل السعديون خيرات البلاد لإبدالها بالبارود والاسلحة النارية مع الدول الاوروبية كانجلاترا التي كانت تأخذ بالمقابل السكر والذهب و النحاس ... او فرنسا التي تعهد ملكها هنريا لثالث " ... مقابل اربعون الف قنطار من النحاس تزويد السعديين بالمدافع والبارود "(3)

---

1) الفشتالي : مصدر سابق ص 129 .

2) الوفراني : مصدر سابق ص 38 .

3) Brignon - A. Amine : histoire du Maroc P. I95 . (3

و غيرها من الدول الاوروبية خاصة تلك التي لم تكن تربطها مع الدول الايبيرية روابط حسنة .

بهذه القوة العسكرية واجه السعديون الثوار والمتمردين و عمدوا على القضاء عليهم وإخماد حركاتهم كما عمدوا الى تدويخ وتأديب القبائل و الحواضر الخارجة عن الطاعة . من اجل كل ذلك حرص السعديون على اقرار الامن بين صفوف تلك الجيوش سواء من خلال الرفع من اجورهم ، او من خلال " تغيير القيادة واستبدال القوات المحاربة و المرابطة في منطقة ما من الامبراطورية بقوات اخرى كلما مرت فترة من الزمن ... " (1) .

و لما كان التدخل الخارجي يهدف الوصول الى المغرب؛ فقد سعى السعديون الى توزيع الجيش بشكل يحد من ذلك الخطر الخارجي بحيث ثم توزيعهم على المراكز الاستراتيجية الحساسة و ذلك بعدما احكموا تحصينها وتزويدها باحدث انواع الاسلحة و رفعوا من عدد جيشها النظامي والدائم و في هذا الاطار تدخل سياسة تحصين وتقوية المناطق الشمالية باعتبارها كانت مثار نزاع دائم وهدفا لتدخل عسكري خارجي مستمر . كما سعى السعديون ايضا الى تحويل بعض القبائل الصديقة واقطاعها اراض في اماكن استراتيجية مقابل الخدمة العسكرية (Soldat Laboureur) و تكوين خط حاجز امام اي تدخل خارجي محتمل . وقد تدخل في تلك السياسة الوقائية ما عمد اليه السعديون من تهديدات بالقيام بحروب توسعية تستهدف مناطق تلك القوى الخارجية او ما كان من عقد اتفاقيات و معاهدات حربية مع اعداء تلك الدول . ومحاولة السلاطين المتكررة لكسب انجلترا لاحسن مثال على ذلك . هذا عن الحروب السياسية فما هو الحال عن حروب السعديين الدينية ؟ .

---

1) عبد الكريم كريم : مرجع سابق ص 241 .

الباب الثاني

الحروب السعدية الدينية

- اسباب وطبيعة الاحتلال الايبيري.
- حروب قيام الدولة الدينية .
- معركة الوادي وطبيعتها الدينية .
- دور الرباطات والزوايا في الحروب الدينية .

لقد تنوعت الحروب الدينية التى عرفها المغرب على مر عصوره بين الآونة والاخرى وحسب قوة وضعف الدول التى تعاقبت عليه والحماس الديني الذى اعتمدته . فقد اخذت بعض تلك الحروب صبغة الفتوحات الاسلامية والقيام بنشر الدين الاسلامي في بقاع لم تعرف الاسلام بعد . واخرى قامت بين المغاربة انفسهم على اساس ان طائفة منهم باغية وانها تنهج نهجا غير اسلامي فوجبت محاربتها والعمل على تقويمها ولو بحد السيف. ومن ثم قامت الدول التى اعتمدت هذا النهج الديني باسم "الامر بالمعروف والنهي عن المنكر" . بينما قامت حروب دينية اخرى اساسا من اجل حماية المكتسبات الاسلامية ، امام حركات الاسترداد المسيحية ، كما هو الحال بالنسبة للحروب المغربية بالاندلس ، او امام التوغل المسيحي فى السواحل المغربية . وقد كانت معظم الحروب الدينية على عهد السعديين من هذا النوع الاخير . بحيث انها كانت دفاعية اكثر منها هجومية امام الاحتلال الايبيري الذى كان قد اكتسح معظم السواحل المغربية . من هنا لايمكن التحدث عن حروب دينية سعدية بعيدة عن تلك الحروب ضد "العدو الكافر" او ضد حلفائهم من المغاربة .

غير ان هذا لا يعني باي حال من الاحوال ان الدوافع الدينية كانت وحدها السبب والمحرك للحروب المغربية الايبيرية . ذلك انه كانت هناك اسباب اخرى متداخلة مع هذا السبب الديني اقتصادية وسياسية بل وحتى تاريخية . لكن مع ذلك ليس الى حد القول بان الحروب المقدسة "بالنسبة للمجاهدين المغاربة وسيلة اكثر منها غاية"(1) كما ذهب الى ذلك هنري طراس ، لما كان للحماس الديني في محاربة المغاربة للمحتلين الاجانب من اثر اقوى من اي حماس اخر . ولنتمكن من تتبع اطوار تلك الحروب السعدية

1 - Henri Terrasse op-cit P.I2I : مرجع سابق - ص . 121

الدينية علينا اولا التطرق الى اسباب وطبيعة الاحتلال الايبيري للسواحل المغربية .

1 - اسباب وطبيعة الاحتلال الايبيري :

لقد تظافرت الاسباب التي تركت الدولتين الايبيريتين تنهج سياسة التوسع ، تلك السياسة التى لم يسلم منها المغرب. ذلك ان نطاق الغزو الايبيري للمغرب اتسع في النصف الثاني من القرن الخامس عشر . فقد شمل التوسع البرتغالي معظم الساحل الاطلنتي والمتوسطي. في حين اخذ الاسبان يثبتون وجودهم بعد الاستيلاء على مليلية ؛ وقد لخص الدكتور عبد الله العروي تلك الاسباب بقوله : "... ان ضعف الدول المغربية يكون الشرط الملائم والامبريالية التجارية تكون الوسيلة لسياسة كان محركها الاساسي هو الحمية الدينية ."(1).

وما يسترعي الانتباه في تلك الاسباب تداخلها بشكل يصعب معه الفصل فيما بينها . فالعامل الاقتصادي لا يمكن فصله عن العوامل السياسية على اساس ان المذهب التجاري الذى اعتمدته الدولتين الايبيرتين يعتبر الثروة هي مصدر القوة . وبالتالي فان القوة السياسية مرهونة بجمع اكبر قدر ممكن من الثروة ولو على حساب امم اخرى . غير ان العامل الديني كان من اهم الاسباب التى شجعت الايبيريين ، خاصة وانهم يعتبرون من بين الدول الاولى المتشددة للمذهب الكاتوليكي ، الى نهج تلك السياسة التوسعية .

لقد وجدت الدول الايبيرية ، بعدما تفوقت لنشاطها البحري ، الذى زادت اهميته بتحول الطرق التجارية من البحر الابيض الى المحيط الاطلسي ، ضالتها المنشودة في المغرب. فهو كان يسهل عليها عناء الوصول الى منتجات القارة الافريقية - بما فيها المنتجات المحلية - وكان اهم تلك المنتجات القمح بعدما تعرضت

---

1 - د. عبد الله العروي : تاريخ المغرب ، ت : دوقا ن فرقوط ص.263
المؤسسة ع د ن.

الجزيرة الايبيرية لفترات طويلة من الجفاف . كذلك العبيد لسد النقص في اليد العاملة الناتج عن الطاعون الاسود . كما ان موقع المغرب ضمن لها حماية الطريق الموصل الى توابل الهند وذهب الامريكتين .

غير ان المنافسة التى وقعت بين الدولتين ، ولاضفاء نوع من المشروعية لحملاتهم تلك ، سعى البرتغاليون في البداية ثم الاسبانيون بعد ذلك لدى البابا للحصول منه على ما يمكنهم اتخاذه ، كحجة قاطعة يجابهون بها خصومهم ؛ ولم يتردد البابا فى الاستجابة لذلك ومنحهم براءات تم لهم بموجبها الحصول على مكتسبات على حساب المغرب ؛ ولم تكتف الكنيسة بتلك البراءات ، بل اخذت على عاتقها سياسة ايجاد تناسق بين مناطق الاحتلال البرتغالي والاسباني . تلك السياسة التى تمثلت في معاهدتي توردبيسلاس وسنترا ومن البديهي ان البابا لم يقم بكل تلك الاعمال ، بل وحث الاسبان والبرتغاليين على التوسع ومساعدتهم ماديا و بشريا ، من اجل بلوغهم الى غاياتهم الاقتصادية . انما كان البابا يدرك ان توسع تلك الدول يعني بالحتم توسع المذهب الكاثوليكي وانتشاره في بقاع اخرى لكون تلك الدول مخلصة للكاثوليكية .

والواقع ان الدوافع الدينية كانت - كما سبقت الاشارة الى ذلك - من اهم اسباب التوسع الايبيري . فهنري الملاح لما قاد حملته الاولى للمغرب كانت غايته الاساسية هي نشر المسيحية ومحاولة الوصول الى الامبراطورية المسيحية المزعومة بوسط افريقيا. ومن اهم ما اذكى النعرة الصليبية الغربية تلك هو من جهة فشل المسيحية امام الاتراك ؛ ومن جهة اخرى العامل التاريخي المتمثل في نجاح عملية الاسترداد بالاندلس وبالتالي الانتقام من المغاربة الذين كانوا اكبر سند للاندلسيين .

و من خلال الدور الفعال لرجال الكنيسة وتحمسهم لغزو الشمال الافريقي ، كالدورالذى قام به Xemenos ، والطقوس والصلوات التي كانت تسبق كل هجوم ، وتحويل المساجد الى كنائس ، كل ذلك لدليل

على مدى اهمية العوامل الدينية في تلك الحروب . هكذا تدخلت الاسباب الاقتصادية والسياسية والدينية للغزو الايبيري الذى وجد في الاوضاع المغربية المتدهورة القابلية لتسهيل تلك العملية .

غير ان الغزو الايبيري اقتصر على السواحل ولم يحاول التعمق داخل المغرب كما امتاز بانعدام روح الاستمرارية . والايبيريون لم يلجأوا الى نهج سياسة الاستيطان في المناطق التى احتلوها بشكل تبدو لنا معه تلك المراكز لا تعدوا اكثر من ثكنات عسكرية . وقد تفادى المسؤولون الايبيريون احتلالا تكون نتيجته القضاء على الرواج التجاري لذلك نهجوا سياسة تقتضي الحصول على ولاء المنطقة دون احتلالها . هذه الوضعية جعلت R. le Tourneau يرى ان المغرب لم يكن بالنسبة للبرتغاليين غاية في حد ذاته ولا حتى وسيلة للهيمنة الاقتصادية ولكن اهميته تتجلى من خلال موقعه الجغرافي وخيراته .

لهذا لم تكن الاماكن البرتغالية غير قواعد للنشاط الاقتصادي واماكن الارساء للسفن بالنسبة للطريق البحرية الى الهند (1).

لقد استفاد البرتغاليون والاسبانيون من سياستهم تلك في كسب ولاء قبائل المنطقة . وكانت تلك الاستفادة مزدوجة ، استفادة مادية تمثلت فيما كانت تقدمه تلك القبائل من ضرائب سنوية كانت ادناها بالنسبة للقبيلة الواحدة الف حمولة جمل قمحا ودرة واربعة فرسان (2) . ولاهمية تلك الضرائب بالنسبة للبرتغاليين لم يتردد هؤلاء في شن حملات تأديبية على اي قبيلة رفضت دفع تلك الضريبة (3) . اما الاستفادة الثانية فكانت من خلال ما قام به اولائك الموالين من التصدى للمقاومة المغربية . لذلك حرص البرتغاليون على جمعهم تحت قيادة واحدة كان يتزعمها في البداية

---

1) R. le Tourneau : les débuts de la dynastie Saadianne P.I4 I.E.S.T d'algor . — 1

2) DAMIAO de GOIS : les portugais au Maroc de I495 à I52I tr.R. Ricard P. 75 ed : B.L.

3) Ibid P. 2 . — 3

يحيى اونا عفوفنت (1) . بالرغم من كل ذلك اتسمت سياسة البرتغاليين تجاه هؤلاء المواليين بالحضر وعدم الثقة بحيث انهم كانوا يتحفظون في تزويدهم بالاسلحة النارية .

غير ان النفوذ الايبيري اخد يتقلص مع نهاية القرن 16 خاصة بعد الانتصار الذي حققه المغاربة ضدهم بوادي المخازن. وقد شمل هذا التقلص مناطق النفوذ البرتغالي على الخصوص لصالح جارتها الاسبان ، بعدما وافق المجلس العسكري الاسباني (المنعقد بيوم 16 غشت 1578) أسناد مهمة الدفاع عن مدن سبتة وطنجة وصيلا (وهي قواعد الاحتلال البرتغالي) الى القائد الاسباني ا. منزو (2) .

الا انه اذا كانت هناك قبائل اخلصت في ولائها للبرتغاليين فان المجتمع المغربي لم يتقبل ذلك الاحتلال بسهولة . كما ان الحركة الفكرية اتجهت الى نبذ هذا التدخل ، وعملت على بث روح الجهاد في الاوساط المغربية ونقد الحكام المتقاعسين على القيام بواجب الجهاد . واذا كان الجهاد لا يحل الا مع امير فقد حرصت تلك الاوساط على ايجاد امير كان ذلك هو شخص محمد القائم بامر الله وبالتالي ادى ذلك الى قيام الدولة السعدية على اساس القيام بالجهاد :

2 - حروب قيام الدولة الدينية :

ان فشل السلطة المركزية للقيام بفروض الجهاد ، وتزايد الضغط الايبيري والخطر المسيحي جعل المجتمع المغربي يبحث عن شخص يقود حركة الجهاد وبما ان سوس والمناطق المجاورة لها كانت اكثر المناطق تعرضا لذلك التهديد ، فقد اخدت على عاتقها عملية البحث تلك ، حيث بايعوا عبد الله القائم" ... بقلوب متفقة واغراض على الجهاد مجتمعة ... " (3) .وقد اهله نسبه الشريف

---

1 - 1) S.I.H.M. (de Castrie) Espagne 1er serie Tomo 3 P. I64 .

2 - 2) Ibid P. 45I .

3 - الوفراني : مصدر سابق ص. 16

وانتماؤه الى الطريقة الجازولية التى لخص ابن سليمان الجزولي مذهبها بقوله " ...ان دولتنا دولة المجتمدين ، والمجاهدين في سبيل الله ..." (1) الى تحمل عبء تلك المهمة . وكان للانتصارات التى حققها ضد المسيحيين بدعم من السوسيين ان جلبت له ثقة العامة وانسافت القبائل المختلفة للانضواء تحت قيادته وتدعيمه بالرجال والمال خاصة وان السعديين كانوا يشيعون انهم لا قصد لهم غير الجهاد ومحاربة عدو الدين .

وما يتركنا نتقبل منهم هذا ويجعل تلك الحروب حروب دينية صرفة ما كان من تدعيمهم من طرف القوات السياسية المتواجدة انذاك ، سواء الحكومة المركزية او الامارات المستقلة الاخرى ، والا فكيف يعقل تدعيم وتقوية منافس جديد سيكون سبب نهايتهم في المستقبل ؟ والحقيقة انه رغم ما يمكن ان يتبادر في اذهان اولائك الحكام من تخوف من هذه القوة الجديدة فقد كان الشعور الديني فوق كل اعتبار ، ذلك الشعور الذى ترك بعض المعارضين يرفضون مساعدة المسيحيين لهم ضد اخوانهم في العقيدة .كما ان اولائك الحكام كانوا يدركون رد الفعل من طرف العامة التي كانت تعتبر الهدف الجهادي قبل اي اعتبار آخر . ذلك ان السعديين قد ظهر مكانهم في الجهاد سواء بالمناطق الشمالية حيث خاض ابناء القائم معارك جهادية ضد المسيحيين وتحت سلطة الوطاسيين ، او بالمناطق الجنوبية بعد تمكنهم من احراز انتصارات عظيمة على المسيحيين وحلفائهم من المغاربة . كما ان الادعية الدينية التى كانت تسبق كل حرب سعدية ضد المحتلين ، ثم ما كان من حرصهم على فتح الثغور الشمالية قبل دخول فاس لادلة اخرى على الطبيعة الدينية لتلك الحروب .

ان الحروب الدينية السعدية استهدفت منذ البداية حلفاء البرتغاليين وقد اتبع السعديون معهم وسائل اخرى من غير القتال

---

1 - R. le Tourneau ، مرجع سابق - ص. 18

كحرقهم منازل هؤلاء بل احيانا اخرى احياء ودوا وير بكاملها . او ما كان من نهب خيراتهم واغتصاب نسائهم وما الى ذلك . وقد اعتبروا تلك الاعمال شرعية على اساس ان اولائك كانوا خارجين عن الدين الاسلامي لتعاملهم مع الكفار . ولرسالة العلماء للمتوكل لاوضح مثال في تكفير هؤلاء العلماء كل من لجأ الى الكفار او احتمى بهم ضد المسلمين .

ولقد ركز السعديون حروبهم على مناطق النفوذ الاجنبي ، واستعملوا كل امكانياتهم الحربية في ذلك بما فيها مختلف انواع المدافع ،ولقد كان أشهر تلك المدافع تلك المعروفة بالمامونية . وقد كانت هذه تقذف قنابل من حجر جد كبير الى حد انه يصعب احاطتها بدرا عين (1) ؛ كما طوروا من نظامهم الحربي حتى يتناسب مع حرب الثغور . وبما ان مراكز المسحيين كانت في معظم الاحيان بعيدة ، فقد كون السعديون فرقا مخصصة لنقل المعدات . غير ان صعوبة نقل المدافع الثقيلة اذ كانت تبلغ بعضها اكثر من اثنا عشر طنا (2)، ولقلة وسائل النقل الحديثة غير الدواب ، لجأ السعديون الى صهر تلك المدافع بمكان المعركة بعدما كانت تنقل على شكل قوالب من المعادن(3). ولكون جل الحروب التى خاضها السعديون مع المسيحيين تنتهي بمحاصرة العدو ، فقد فطنوا لذلك وطوروا من امكانياتهم لوسائل الحصار بشكل مكنهم في بعض الحالات من بناء قصبات صلبة وفي ظرف ايام معدودة (4).

ولم يتبع السعديون في حروبهم تلك دائما القوة بل لجأوا الى اساليب اخرى . فقد اعتمد احمد الاعرج مثلا الى مقاطعة اي

---

1 - 1) Hesperis (1937) 4éme tr. R. Ricard P. 268 .

2 - يوجد نموذج من هذه المدافع (12طن)بمنتحف الاسلحة بفاس استخدم بمعركة وادي المخازن وصانعه الحاج احمد الغمقي.

3 - Hesperis (1972) مرجع سابق - ص.71.

4 - نفس المرجع - ص. 79

أي تعامل مع البرتغاليين ، تلك المقاطعة التى حتمت عليه عزل المراكز البرتغالية بالاستيلاء على اهم الابواب الموصلة الى مختلف المناطق الغربية ، كتافتنا وتاركوكو وماسة وتارودانت وغيرها . كما لم ينوا عن مقاومة كل من يحاول الخروج عن تلك المقاطعة (1).

ونتيجة الضغط السعدي اخلى البرتغاليون عدة مراكز ساحلية . غير انه قد اختلف عن اسباب ذلك الاخلاء ، فهل كان بسبب كونها ذات تكاليف كبيرة ومنفعة قليلة لعدم توفرها على ميناء صالح واسوار عالية وبالتالي قصد تعزيز مراكز اخرى ونقط معينة ؟ (2) ام كان اخلاءا بالرعب لما راوا ما وقع بهم من القتل والسبي؟(3) ، ام هناك اسباب اخرى ؟ !

واذا كان العامل الديني وراء تلك الحروب السعدية ضد المسيحيين ، فليس هذا معناه انه هو السبب الوحيد. ذلك ان للعوامل الاقتصادية دورها الهام في تلك الحروب فقد احست معظم القبائل الجنوبية بخطر البرتغاليين وتهديدهم للتجارة الجنوبية، والتى كانت تدسي وافنا تمثل اهم مراكز النشاط لها ، فانظمت الى جانب السعديين . كما ان حاجة السعديين الى موانئ بحرية للتعامل مع التجار الاوربيين قصد الحصول على اسلحة نارية بالتبادل مع المحصولات المغربية جعلهم يعملون جادين للوصول الى الموانئ الغربية . وقد تمكنوا من ذلك فعلا باستيلائهم على سانتاكروز(4). كما لا يخفى علينا ما كان يضيع من ايد السعديين من مداخيل باعتبار الضرائب التى كان يأخذها البرتغاليون من قبائل المنطقة .

وللعوامل السياسية دورها البارز هي الاخرى ، حيث ان تركيز النفوذ السياسي كان ياتي في البداية عن طريق الحروب الدينية .

---

1 - عبد الكريم كريم : مرجع سابق - ص. 45 - 47
2 - • Hesperis لسنة 1937 ، مرجع سابق - ص. 268/270
3 - الوفراني : مصدر سابق - ص. 19

4 - 4) A. Cour : etablissement des dynasties des cherifs au Maroc P. 67 .

فبالرغم مما ابداه السعديون الاوائل من تشبيم بان الحروب التى يخوضونها ضد المسيحيين وحلفائهم هي من اجل الهدف الديني فقط ، فانه بعدما اجتمعت لديهم القوة والنفوذ طمحوا للنفوذ السياسي. فقد استغلوا الحروب الدينية تلك لتوسيع نطاق نفوذهم بين القبائل ، ثم للحصول على المزيد من الاراضى باسم الجهاد .والسعديون من اجل بلوغ هدفهم السياسي ذلك ، لم يتورعوا عن مهادنة المسيحيين .

وقد نجد فيما قاله Brignon واصحابه تلخيصا يوضح لنا طبيعة تلك الحروب . فقد رأوا ان تلك الحروب لم تقم باسم الاسباب الاقتصادية ، انما الطائفة الاسلامية احست بان تواجدها في خطر ، وباسم الذى هو اغلى ويمكن اعطاء فعالية اكثر - اي الاسلام - شرعت تلك الطائفة في المقاومة . وبانسحاب البرتغاليين عن اكادير وآسفي وآزمو يكون قد حدث تحول ليس فقط سياسي وعسكري انما اقتصادي ايضا (1) .

واذا كانت الاسباب الدينية والاقتصادية والسياسية قد تقاربت في معظم الحروب المغربية الايبيرية ، فان معركة وادي المخازن قد تركت البعض يرى ان السبب المباشر في تحديد الانتصار او الهزيمة بها لم تكن الفوات العددية وانما كان دون شك الحماس الديني العظيم الذى قابل به المغاربة اعداءهم (2) . فما هي المظاهر التي تتركنا نرجح الطبيعة الدينية لتلك المعركة ؟ .

3 - <u>معركة الوادي وطبيعتها الدينية</u> :

كانت معركة وادي المخازن تلك المعركة الفاصلة التى جعلت حدا لطموحات الدول الاجنبية في المغرب . كما انها اعادت

---

1 - 1) Brignon : op-cit P. I95 .

2 - ابراهيم حركات : المغرب عبر التاريخ (المجلد الثاني)ص.293

نوعا من الثقة للمغاربة . ولم تكن معركة الملوك الثلاثة بين المغرب والبرتغال فحسب ، انما كانت بين مسلمين سعوا جادين لحماية مقدساتهم الدينية ومكتسباتهم الترابية ، ومسيحيين من مختلف الدول المسيحية الكاتولوكية بالخصوص بما فيهم الكنيسة البابوية التى كان ينتزعمها جريجوري الثامن وما علم عنه من بغضه للديانات الاخرى وفي مقدمتها الدين الاسلامي . وبالتالى حاولوا الثأر من المسلمين في الغرب بعدما فشلوا في مواجهتهم بالشرق . وقد شجعهم لذلك الانقسام الحاصل بين صفوف المغاربة . من هنا يتجلى واضحا الهدف الديني الموجه لتلك الحرب .

فقد كان البرتغاليون من اشد الدول تشبعا بالمسيحية الكاتوليكية . ومع تولي الحكم فيهم شابا طموحا (دونسباستيان) والذى تمكنت الكنيسة من تربيته تربية كاتولوكية متعصبة ، وجدوا في الخلاف بين المتوكل وعميه الفرصة السانحة لغزو المغرب . ويصف لنا عبد المجيد بنجلون ذلك المهرجان الديني الذى شهدته لشبونة قبل انطلاق تلك الحملة العسكرية والتى تراًسها سبستيان نفسه بقوله : ان ذلك المهرجان الديني .. باركه البابا وتسلم فيه قواد الجيش اعلامهم ، وتليت الصلوات ، واقيمت الطقوس ورفعت الصلبان ... (1) . هذا المهرجان يتركنا نشعر ان الهدف الاول لتلك الحرب منذ انطلاقها هو هدف ديني . لقد قصد البرتغاليون ، ومن وراًئهم الدول المسيحية الاخرى ، التصدى للاسلام ونشر المسيحية الكاتوليكية في القارة الافريقية انطلاقا من المغرب . في نفس الوقت كان نجاح تلك الحملة المسيحية فرصة لاعادة الثقة للمذهب الكاتوليكي الذي اخد يفقد الكثير من اعتباراته بعد ظهور الديانات المسيحية الجديدة والتي انتقدته بشدة .

بنفس الحماس الديني قابل المغاربة المسيحيون من تلاوة للقرآن والادعية وبالتكبير . وقد دعم راية السعديين الجهادية

---

1 - عبد المجيد بنجلون : معركة الوادي - ص. 78 - شركة الطبع والنشر - الرباط

نداءات شيوخ جازولة ودعوات العلماء الذين وفقوا الى تعبئة الراي العام بسرعة فائقة (1) . ولم يكتف دور هؤلاء صفة الادلاء بالراي وتعبئة الراي العام ، بل شاركوا رسميا في غمار تلك الحرب وكانوا القدوة لغيرهم ومصدرا لحماس ديني متزايد.

واذا تصفحنا تركيب الجيش المكون للفريقين تبدو لنا تلك المعركة بصبغتها الدينية أكثر جلاء . فقد كان الجيش المسيحي يتكون من جيوش لمختلف الدول الكاثوليكية بالاضافة الى المتطوعين الذين سارعوا للمشاركة في تلك الحرب وبوسائلهم الخاصة .بحيث نجد اولائك المتطوعين والالمان والرومانيين وغيرهم في الصفوف الاولى للجيش المسحيي (2) . والجيش المغربي هو الاخر ضم عناصر مختلفة الاجناس من عرب وبربر واتراك وما انضاف الى الجيش النظامي "... من المتطوعة كل من رغب في الاجر وطمع في الشهادة ..."(3).

وقد صاحب الجيش الميسيحي جماعات كبيرة من رجال الكنيسة الكاتوليك منهم اساقفة كوانبر وبورطو والاب فرناو دوسيلفا الذي اعد خطبة النصر قبل بدء المعركة (4). وكان هؤلاء اكثر تحمسا لتلك الحرب من غيرهم (5) . بل ان غيرهم مثل Le père louis de Sahdoval كان يذكر المسيحيين بتنبؤات احد الرهبان الفرانسيسكانيين والذي تحمل الاستشهاد بفاس بقوله ان المسيحيين سيحكمونها (فاس)(6).

كما لم يتخلف رجال الدين المسلمون للحظور الى تلك المعركة اذ حضرها من "... اولياء الله تعالى حتى انهم اشبه شيء بغزوة بدر."(7)

كما حضرها الكثير من العلماء ورجال الدين واشهرهم ابو المحاسن

---

1 – د.عبد الله العروي : مرجع سابق – ص.253

2 – 2) S.I.H.M. (de Castrie) op-cit P. 475 .

3 – الوفراني : مصدر سابق – ص. 75

4 – 3) S.I.H.M. op-cit P. 475 .

5 – 5) Ibid P. 440 .

6 – 6) Idem P. 389 .

7 – الوفراني : مصدرا سابق – ص. 73

سيدي يوسف الفاسي . وقد تجلى تاثير تلك الدعايات الدينية وندا ءات رجال الدين والحماس الديني من خلال حماس المعركة نفسها اذ لم تتعد مدة تلك المعركة الخمس ساعات (1) .

والطبيعة الدينية لتلك المعركة تتضح ايضا من خلال ما قيل عن تلك المعركة سواء بالنسبة للمصادر المغربية او المصادر البرتغالية . فالمصادر المغربية تصف تلك المعركة وكانها غزوة بدر . وترى في انتصار المغاربة انتصار للدين ونصر للاسلام وثل عرش الكفر واستئصال شأفة الاصنام (2) . بل الوفراني لا يستبعد ان تلك الواقعة شارك فيها حتى الاموات (الشيخ الغوث) لان الشهداء احياء عند ربهم (3). بينما الناصري راى في اهلاك الثلاثة واقامة الواحد اشارة واضحة لاهلاك دين التثليث (المسيحية) ونصر دين التوحيد (الاسلام) (4). واذا كان دون فليب قد بعث لسباستيان البدلة والقبعة المقدسة التى كان يحملها شارل الخامس اثناء غزوه لتونس لتذكيره بالروح الصليبية . فان المنصور لما انتصر كاتب "... سائر ممالك الاسلام المجاورين للمغرب ليعرفهم بما انعم الله به عليه من اظهار للدين واهلاك عبدة الصليب.."(5).

هكذا يتضح اذن من خلال المصادر المغربية ان الانتصار كان انتصار ديني.غير ان المصادر المسيحية وللتخفيفمن حدة ثقل الهزيمة ارجعت اسباب الهزيمة الى عوامل اخرى .فقد كانت ترى بعضها (وثيقة مجهولة) ان البرتغاليين اولا كانوا غير منظمين ثم ثانيا ان معظمهم لم يكن راغبا في تلك الحرب ولولا تعنت سباستيان لما اقبل البرتغاليون على تلك المعركة . كما ان الجيش المسيحي كان ذا مؤونة قليلة بحيث في ظرف اربعة ايام كان يعاني من الجوع والعطش . بل لاتتوان تلك المصادر من القول بان خلال الخمسة ايام قبل المعركة لم تقم في المخيمات البرتغالية لا ادعية ولا صلوات ولا طقوس (6).وهي من خلال ذلك تحاول اخفاء كل صبغة

---

1 _ P. 453 de castrie (S.I.H.M)

2 _ الفشتالي : مصدر سابق _ ص. 39 ، 4 _ الناصري: الاستقصا ص. 84

3 _ الوفراني : مصدر سابق ص. 75   5 _ نفس المصدر ص. 82

6 _ de castrie op-dit P. 475 . عن وثيقة مجهولة برتغالية للقرن 17

دينية لتلك المعركة . كما ان مجرد الاختلاف في تقدير عدد الجيش المشارك في تلك المعركة بذلك الفرق التعادي الشاسع يفيد بما تعلق بهذه المعركة من مشاعر الوجه الصليبي والجهادي لدى الطرفين . فالمصادر المغربية مثلا رفعت من عدد الجيش المسيحي الى 150 الف وان كانت اخرى تعتبر 80 الفا هو العدد الصحيح ، بينما جل المصادر البرتغالية لم تزد ذلك العدد عن العشرين الفا .

وبالرغم من كل ذلك الحماس الديني فالدوافع الاخرى لا يمكن تجاهلها لتلك الحرب . واذا كانت تلك الدوافع لا يمكن لمسها بجلاء بالنسبة للمغاربة لانهم كانوا هم المهاجمين كما انهم لم يرغبوا في تلك الحرب على اساس محاولات المعتصم لتجنب تلك الحرب كما يتضح من خلال مراسلاته لدون فليب وسبستيان . غير ان المسيحيين كانوا بمحاولتهم تلك يسعون الى وقف التقدم التركي بالمغرب لانهم كانوا يخشون من استيلاء الاتراك على الموانئ المغربية لما قد يسببه ذلك من مضايقة للتجارة البحرية .كما كانوا يخشون من تحالف مغربي تركي يقوم على اساس معاودة فتح الاندلس . من هنا فالدوافع الاستراتيجية والاقتصادية بل وحتى السياسية كانت لها اهميتها في تلك المعركة .

في كل تلك الحروب التي سبقت الاشارة اليها ، كان الشعور الديني يحركه العلماء ورجال الدين واشياخ الزوايا . وقد كان هؤلاء يشكلون غالبا زوايا ورباطات يباشرون منها اعمالهم الجهادية . وقد لعبت تلك الرباطات والزوايا دورا مهما في الحروب الدينية . فما دورها في الحروب الدينية ؟.

4 - <u>دور الرباطات والزوايا في الحروب الدينية</u> :

على مر العصور تأكد ان الحركة الصوفية بالمغرب كانت تتقوى بضعف السلطة المركزية . وقد وجدت هذه الحركة اهميتها بعدما فشلت السلطة المركزية في التصدي للاحتلال الايبيري . واذا كانت

هذه الحركة الصوفية " ضرب من تعميم وتعميق الايمان " (1) ، فان البحث عن الموت في سبيل الله كان من المبادئ الاولى التى اعتمدتها خاصة بعدما تطور مفهوم الصوفية من الانزواء في فردية الصوفية الضيقة الى تشددها على حاجات الطائفة ، الشيء الذى اعطاها شعبية بسرعة فائقة . وعندما تجسد الخطر الايبيري اصبحت الزوايا ، والتى كانت مقر نشاط تلك الحركة الصوفية ، مراكز حربية عرفت بالربط وقد كانت حركة المرابطين تلك تطلق على "هذا النوع من التعبئة الشعبية خارج اطر الدولة "(2).

وقدكان المجاهدون يباشرون من ربطهم تلك اعمالهم الجهادية . غير انه لم يكن لهؤلاء نظام دقيق كما كان بالنسبة للجيش النظامي بحيث انهم من جهة كانوا يتزودون بوسائلهم الخاصة من اسلحة ومؤونة . ومن جهة اخرى كانت ابوابهم مفتوحة دائما لمن اراد الانضمام اليهم او الانسحاب عنهم (3) . ولم تكن حروبهم دائما عن معزل من حروب السلطة المركزية التى ترمي الى نفس الهدف الديني ، بحيث انهم كانوا ينضمون في صفوف الجيش النظامي كمتطوعين كما تبين ذلك من خلال حرب الثغور او معركة وادي المخازن . وقد كان اشياخ الزوايا هم الذين يقودون تلك الحرب . ولم تكن حروبهم تلك تنتظر اشارة السلطة المركزية ، بل كان المجاهدون يظلون في ربطهم يقومون بشعائرهم ويراقبون تحركات العدو حتى اذا سمحت لهم الفرصة للانقضاض على العدو لن يترددوا في ذلك . والمرابطون كانوا اول من يتصدى لهجومات المسيحيين لان مراكزهم كانت غالبا قريبة من الثغور المسيحية ، حتى ان الايبيريين كانوا يخشون المقاومة الشعبية حتى في غيبة السعديين. (4)

---

1 - د. عبد الله العروي : مرجع سابق - ص. 246

2 - نفس المرجع - ص. 247

3 - 3) Hesperis (I968) Fasc I (M. Hajji) P. II7 .

4 - ابراهيم حركات : مرجع سابق - ص. 284

ولم يكن دور الزوايا مقتصر على الجهاد ، بل قام ائمة تلك الزوايا والمشايخ " يحثون الناس على بذل النفس والنفيس للدفاع عن الوطن ولاعلاء كلمة الاسلام (1)" ، ومنهم على سبيل المثال محمد بن يجبش التازي الذي قال "... عباد الله ما هذه الغفلة .. اما علمتم ان الاعداء باحثون عنكم ..."(2) . ومنهم ايضا الشيخ عبد الهادي بن طاهر الحسن القائل ".. يا من اعجز من النسوان واضعف عقلا من الصبيان .. فالجهاد اليوم فرض عين على كل واحد .."(3). وغيرهم كثير كابو العباس احمد ادريس والشيخ ابو المحاسن وما الى ذلك ، وقد قاموا ايضا بجمع المال لصرفه في الجهاد وافتداء الاسرى المسلمين وقد ذهب بعض هؤلاء الى تكفير كل قادر على الحرب وتقاعس عنها . وهؤلاء الاشياخ كثيرا كما كانوا يخلعون طاعتهم على الامراء الذين كانوا لا يقومون بفروض الجهاد ، او كانوا يهادنون العدو او يتنازلون له عن بعض الثغور.

من هنا يتضح لنا ان الغاية الاولى والاخيرة من عملية الجهاد تلك كانت دينية . فلم يرغب معظم اولائك الداعين في الحكم ، كما لم يكن لهم هدف اقتصادي من وراء دعواتهم خاصة اذا علمنا ان ما كانوا يجمعونه من اموال وصدقات كانوا يصرفونه على العمل الجهادي. وقد اعتبر الدكتور محمد حجي هذا الشعور الديني نوع من القومية والوطنية تجاه الوحدة الترابية .(4)

واذا كانت حركة المرابطين طوال الحكم السعدي حتى وفاة المنصور لم تشكل نوعا من المعارضة ضد السعديين ، وكانوا يقفون جنبا لجنب لصد " العدو الكافر" ؛ كما لم يكن السعديون يخشون تواجدها بل كانوا يشجعونها ، فانه بعد وفاة المنصور اخذ يظهر هناك نوع من

---

1 - د. عبد الكريم كريم : مرجع سابق ص. 25

2 - د. محمد حجي : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين ص. 198 - الطبعة الاولى - فضالة

3 - نفس المرجع - ص. 216

4 -

4) Hesperis (1968) . Op-cit P. II7 .

الانفصام بين الجيش النظامي والمجاهدين . وقد اشتد النزاع بينهم في بعض الاحيان رغم ما كان لبعض اولائك المجاهدين من نية لا تتعدى الجهاد في سبيل الله كحركة العياشي الذى ضيق على نصارى الجديدة حتى " منعهم من الرعاية والحرث"(1) وبايعه العلماء ومع ذلك رفض الحكم ورغب في البقاء مجاهدا في سبيل الله . ومما تجدر الاشارة اليه ان المسيحيين كانوا على وعي من ذلك الحماس الديني الذى سيجعلهم (المغاربة) يتقبلون مجيىء الاتراك الى المغرب عن المسيحيين ، لان الاتراك كانوا يقومون بالجهاد ضد المسيحيين.(2)

* * * * *

غير ان الحروب الدينية اخذت تفقد اهميتها بالنسبة للامراء السعديين . فاذا كانوا في بداية عهدهم قد أولوها العناية الكبرى ، فانهم ومع ازدهار دولتهم طرحوها جانبا لكي يولوا اهتمامهم بالامور الدنيوية والاغراض السياسية والاقتصادية . واذا كانت لهم محاولات بين الآونة والاخرى لبعث روح الجهاد فانها لا تعدو تكون محاولات لتضليل الرأي العام لما كان يتبعها من قيام باعمال تتنافى والهدف الديني . وسنجد مثلا هذا بالنسبة للغالب وموقفه من حصار البريجة او المنصور وتوقفه دون متابعة البرتغاليين ، او في تنازل بعض الامراء عن بعض المراكز للمسيحيين .

لكن العكس من ذلك نجد جهاد المرابطين قد تزايد خاصة قبل ان تأخذ تلك الزوايا هي الاخرى ابعادا سياسية بحيث سيحيدها ذلك عن الهدف الديني الصرف كما هو الحال بالنسبة للزاوية الدلائية او السملالية وغيرها . والشيء الملاحظ ان هذه المراكز المستقلة ، والتي تقوم بفروض الجهاد ، كانت تجد الدعم والمساندة من طرف السلطة المركزية ما دامت اهدافها لم تبتعد عن الجهاد.

---

1 - الوفراني : مصدر سابق - ص. 263

2 - 2) S.I.H.M . (de Castrie) op-cit P. 229 .

لكن ما ان تظهر طموحا سياسيا حتى نجد في تلك الحكومة المركزية اول من يعمل على القضاء عليها ، وهذا يمكن ملاحظته من خلال موقف الوطاسيين من السعديين او من خلال موقف زيدان من حركة العياشي وغيرها من الامثلة .

ونفس الشيء يلاحظ بالنسبة للايبيريين بحيث ان الحروب الصليبية فقدت حماسها الديني خاصة بعد انهزام معركة الوادي ، ولم يعد المسيحيون يفكرون في اجتياح المغرب بل بالعكس اخذوا يحسبون حسابهم من احتمال معاودة فتح المسلمين للاندلس . والواقع ان الايبيريين لم يقوموا بحرب صريحة - ماعدا معركة وادي المخازن - تستهدف الدين الاسلامي مباشرة ؛ بل حتى المراكز التى استولوا عليها لم يقوموا بعملية تنصير الجلية المسلمة المتواجدة بها ، كما حدث مثلا بالنسبة للاندلس . والسعديون هم كذلك لم يقوموا برد فعل فى المستوى اللائق (خاصة بعد النصف الاول من القرن 16) يرمون من وراءه تحرير كل الثغور المغربية ، بل غالبا ما جنحوا الى السلم وابرام الهدنات مع المسيحيين بل والتنازل لهم عن بعض المراكز الاخرى .

وفي المقابل اتجه السعديون بحروبهم نحو هدف آخر كان التدهور الاقتصادي والجاه المغربي بعد انتصار الوادي من ورائها تلك هي الحروب الاقتصادية .

الباب الثالث :

الحروب السعدية الاقتصادية :

- أسباب الحروب الاقتصادية .
- المنافسة السعدية السودانية على أملاح تغازي .
- غزو السودان وطبيعته الاقتصادية .
- نتائج غزو السودان في السياسة السعدية عامة :

ان المدرسة المادية في تحليلها التاريخي تعتبر الاسباب الاقتصادية اساس كل الاحداث التاريخية ، وبالتالي فالاقتصاد هو الذي يوجه التاريخ البشري . وهي بذلك وان كانت لا تهمل الاسباب الاخرى للمسيرة البشرية ، الا انها تعتبرها ثانوية ، ذلك ان الاحداث التاريخية ناتجة عن العلاقة الموجودة بين البنية التحتية والفوقية والتى يعتبر الاقتصاد اساسها . وعندما عنونت هذا الفصل بالحروب الاقتصادية لم يكن التحليل المادي هو معياري فى ذلك ، لانني لو اعتمدته لما تمكنت من تمييز حروب على اخرى على اساس ان الاقتصاد يكون السبب الموجه لها باكملها . غير انه فى حروب سعدية تتجلى لنا الدوافع الاقتصادية واضحة بشكل نطفوا معه على الدوافع الاخرى . فقد اتضح لنا من خلال الابواب السابقة ان الاسباب الاقتصادية لا يمكن تجاهلها بالنسبة للحروب التى اعتبرناها سياسية ولا التي اعتبرناها دينية ، ولكن ليس الى حد يمكن معه ان نطلق عليها حروب اقتصادية . بينما في حروب اخرى مثل تلك التى استهدفت غزو السودان ، فان الاسباب الاقتصادية تفرض نفسها بشكل يحتم علينا ان نصف مثل تلك الحروب بالحروب الاقتصادية . ومن خلال التعرض الى اسباب تلك الحروب وعلاقة السعديين منذ بداية عهدهم بالملاح تغازي وكذلك من خلال طبيعة غزو السودان والنتائج المترتبة عن ذلك الغزو نلمس بشكل جلي مدى الطبيعة الاقتصادية لتلك الحروب .

1 - اسباب الحروب الاقتصادية :

تداخلت الاسباب التى جعلت السعديين يوجهون انظارهم منذ بداية دولتهم نحو السودان ، والتي انتهت بغزوه من طرف المنصور . غير انها كانت اسباب اقتصادية في مجملها ، فقد كانت موارد المغرب لا تكفي لسد حاجيات الدولة تلك التى اخدت تتزايد نتيجة الحروب الكثيرة التي عرفها المغرب ، ثم للاخطار الخارجية

التى بدأت مع مطلع القرن 16 والتي استهدفت عبيد افريقيا قصد تشغيلهم في مزارع امريكا (1). كل هذا وغيره دفع الامراء السعديين الذين ادركوا تلك الحقائق، الى التفكير في السودان عبر املاح تغازي في البداية واخيرا عن طريق الاستيلاء عليه فعليا.

من هنا وباختصار يمكن حصر سر اهتمام السعديين بالسودان في العمل من اجل الوصول الى ذهب ورقيق تلك المنطقة لتعويض النقص الحاصل في الموارد المغربية ولايجاد موارد حيوية لتنشيط التجارة مع العالم الاوربي. هكذا اذن تتجلى لنا من خلال هذه الاسباب ان تلك الحروب الطويلة التى خاضها السعديون ضد السودانيين كانت حروبا اقتصادية صرفة . وبالرغم من كوننا لا نتجاهل وجود اسباب اخرى لتلك الحروب الا انها لا تعدو تكون الذريعة والغطاء للبلوغ الى الاهداف الاقتصادية. من تلك الاسباب الاخرى التفوق العسكري السعدي اذ ان "... العساكر المنصورية .. عساكر قاذفة بشواظ النار وحصاء البندق المنهل بسحائب من البارود..."(2). بالاضافة للاسباب الدينية والتى حاول السعديون من خلالها اعطاء الصبغة الدينية والشرعية لمحاولاتهم تلك، ثم الاسباب السياسية ممثلة في محاولة تطويق النفوذ التركي وقطع التدخل الاسباني في الجنوب وصرف اهتمام الرأي العام.

ولقد كانت معادن تغاوي هي التي استرعت اهتمام السعديين منذ البداية، وقد كانت المنافسة السعدية السودانية على تلك الاملاح صورة واضحة للطبيعة الاقتصادية لغزو السودان على اساس ان الاهتمام بتلك المعادن كانت مرحلة اولى من مراحل الاستيلاء على السودان .

---

1) J. Bérand - Villard : L' Empére de Gao P. II5 .
Paris librairie plon I942.

2 - الفشتالي : مصدر سابق، ص 128.

2 - المنافسة السعدية السودانية على املاح تغازي :

تعتبر الاملاح بالنسبة للسودانيين من اثمن المنتجات لدرجة انهم كانوا يتصارفون به لما له من قيمة مرتفعة .ولقيمته تلك كان يبدل بالذهب . (1)؛ ولقد ادرك السعديون ذلك فعملوا للوصول الى تلك الاملاح ، وبطبيعة الحال لم يكن هدفهم هي الاملاح في حد ذاتها انما الذهب الذي كان يبدل بتلك الاملاح . من هنا جاءت محاولات السعديين المتكررة للاستيلاء على تلك المعادن منذ عهد احمد الاعرج أول من كاتب الامراء السودانيين في شان ذلك الملح . وقد اختلفت تلك المحاولات ، فتارة اقتصرت على مراسلات السودانيين قصد التنازل لهم عن خراج تلك المعادن بينما تعدت ذلك احيانا اخرى الى استعمال القوة مما تسبب في اصطدامات مسلحة مع السودانيين والطوارق. وكانت نتائج ذلك الصدام اما لصالح السودانيين وتكبيد الجيش المغربي خسائر فادحة نتيجة مقاومتهم او نتيجة الظروف الطبيعية الصعبة التي ادت الى هلاك العديد من افراد الجيش جوعا وعطشا .بينما كانت احيانا اخرى ضدهم الى ان انتهت باستيلاء المنصور على تلك الاملاح .

وبما ان غاية السعديين كانت اقتصادية من وراء ذلك ، فقد عمدوا الى الحصول على خراج تلك الاملاح ، فكاتبوا السودانيين بهذا الشأن ، ولم يتحقق ذلك الا في عهد المنصور بعدما استولى على المعدن وحصنه بجيشه المدعم بالاسلحة النارية . فوظف "على هذا المعدن مثقالا على كل حمل على جميع الابل التي ترده وتؤمه من سائر الافاق وتقصده ..."(2) . ولاعطاء المشروعية الدينية لذلك الخراج اعتبرها انها ستصرف "...ان شاء الله في سبيل الغزو والجهاد"(3) وبالتالي فان هذا المعدن تابع

---

1 - د. زاهر رياض : مرجع سابق - ص. 182
2 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 121
3 - 3) Hesperis (I953) 1er - 2ém tr (J.Piamol) P. I95 .

لبيت مال المسلمين ولا يجب اباحة ملحه بغير قيمة ، وان له هووحده حق النظر فيه .

وما يدعم الفكرة الاقتصادية لذلك الاستيلاء هو ان معادن تغازي اصبحت عديمة الاهمية بالنسبة للسعديين عندما عمد السودانيون الى مقاطعتها . فقد "راى صاحب السودان ما يحصل من عظيم الربح والمنفعة في ذلك لامير المؤمنين ..فسعى في تعطيل ذلك وافساده ونادى في سائر بلاده باقتطاع ملح ذلك المعدن ومنع العير التى تمتار منه (1)" ، هكذا اخذت المنافسة السعدية السودانية حلة جديدة ، لذلك لم يعد المنصور يطلب تلك المعادن انما ".. تسريح العير التي تمتار الملح من هذا المعدن ..(2) ". بل لاجل هذا تهدد اسكيا داوود بان يغزوه في قعر داره ، وهو لايعدم حجة فمن جهة كان رجال الدين بفنتاويهم يساندوه ، كما ان اخا اسكيا والذي انفصل عنه طلب منه (المنصور) العون والمساعدة . هذه التهديدات بالاضافة الى حاجة السودانيين الملحة لا ملاح تغازي جعلت اسكيا داوود يتفق مع المنصور على ان يسرح العير تمتار من ذلك المعدن مقابل نصيب من خراجه .

ولقد استمرت علاقة المنصور مع السودانيين ودية مادام هؤلاء يدفعون خراج املاح تغازي وماداموا يبعثون بهداياهم النفيسة من ذهب ورقيق الى مراكش . بينما ساءت اذا ماحاولوا نقض ذلك. هكذا اذن كانت علاقة السعديين بتلك المعادن تستهدف ذهب السودان عن طريق الخراج الذى يفرض على العير التي تمتار منه . وهي بهذا بعيدة عن كل هدف غير اقتصادي يمكن ان يتبادر للذهن حتى الديني منه الذى حاول ان يسدله السعديون على محاولاتهم تلك.

غير ان حرص المنصور للوصول الى ذهب السودان من منابعها

---

1 _ الفشتالي : مصدر سابق _ ص. 121

2 _ نفس المصدر _ ص. 122

الاصلية وليس فحسب عبر ذلك الخراج ، هو الذي سيكون السبب المباشر في قيام المنصور بغزو السودان رغم الاخطار التي يمكن ان تعترضه .

3 - غزو السودان وطبيعته الاقتصادية :

لقد كانت الحملة التى انفذها المنصور للسودان من ابرز الاحداث التى عرفها مغرب القرن 16 بعد انتصار معركة وادي المخازن. واهمية هذا الحدث راجع لكونه فريد من نوعه ، بل انه مخاطرة اقدم عليها المنصور مدفوعا باطماعه الاقتصادية ، فقد عمد الى " التغلب على هذه الممالك الاخرى التى لا توازي لاجل معادنها الذهبية فخامة قدر واطالة ملك ..."(1) . ولقد كان لمبعوثي المنصور الى السودان اثرهم البارز في تحمسه للقيام بذلك الغزو. فقد شجعوه بانه سيتمكن من خلال غزوه للسودان على الحصول على قدر اكبر من الذهب (2). بل ذهب المنصور الى حد كان يكذب معه اي راي يتعارض ونواياه ، الشيء الذى دفع بعض اولائك المبعوثين للتقليل من مخاطر الغزو رغم كونهم كانوا يضمرون العكس.

واهداف المنصور الاقتصادية تتجلى لنا بوضوح من خلال كلامه اثناء مشاوراته قصد القيام بمشروعه الصحراوي. فهو يرى ان"صرف الوجه لاصقاع الجنوب وممالك السودان احق واولى ... فهي ان كانت اصعب مرارا واشمس مركبا، فانها اغزر نفعا واجدى مغبة.. واقوى بمعالمها وكثرة المشاق من رقيقها ...(3) " .وعلى هذا الاساس فالمنصور كان على اطلاع واسع لثروات السودان ، وهو شيء بديهي لما كان للمغاربة من معرفة سابقة لتلك الاقطار . غير ان هذا يدفعنا للتساؤل عن السبب الذى جعل الكثير من المغاربة يعارضون راي المنصور في البداية رغم تلك المعرفة ، وما سر اصرار المنصور

---

1 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 117

2 - 2) Hesperis (I924) 2ém tr (M. Dolafosse) P. I63 .

3 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 128(كلام المنصور).

على اقناعهم ؟

لقد كان المنصور يخشى من ان ترفض طبقة التجار وغيرها من العامة المستفيدة من تجارة الجنوب اقتراحه لما يمكن ان يسببه غزو السودان من تدهور للعلاقة المغربية السودانية في حالة فشل تلك المحاولة وتكون النتيجة القضاء على التجارة الجنوبية والتي تعتبر مصدرا اقتصاديا جد مهم . بل ربما كان يخشى هؤلاء حتى في حالة فتح السودان عدم ا تمكن المغاربة من الوصول الى منابع الذهب لما عرف عن السودانيين من سريتهم لمعادن الذهب . في حين كانت كل آمال المنصور هو الوصول الى السودان . ثم كان ان زاد من اطماع المنصور اغراءات ولد فرشل الذي وعده بثروة هائلة اذا ما ساعده على استرجاع عرشه وانه سيعلن له تبعيته . كما سهل له عملية الوصول للسودان وقلل من اهمية الجيش السوداني (1) .

والواقع ان المنصور كان يفكر في غزو السودان منذ توليته الحكم للمشاكل الاقتصادية التي عرفها المغرب . ولقد كلفت تلك الحملة المنصور الشئ الكثير . وبما ان المسافة كانت طويلة بين مراكش في السودان (الفي كلمتر) ، ولكون الطريف عبارة عن صحاري قاحلة ومسافات من الحرارة ، فقد عمد المنصور الى التقليل من عدد الجيش بالنسبة عما اعتاده السعديون في حروب اخرى . كما استعمل كوسيلة للنقل الجمال لما يعرف عنها من صبر على العطش وتمرن للسير على الرمال . وقد بلغ عدد الجمال التي صاحبت الحملة حوالي الثمانية الف جمل (2) . كما لجأ الى استعمال الآلات الحربية الخفيفة الوزن ، ومن بينها المدافع الصغيرة والتي تكون اثنين منها حمولة جمل واحد (3) .

واذا القينا نظرة سريعة على تركيب الجيش السعدي الذي توجه نحو السودان نجده يتكون من عناصر في مجملها غير مغربية الاصل

---

1) Hesperis (I953) G. Pianel op-cit P. I86 . (1

2) Hesperis (I923) de Castrie 4ém tr P. 445 . (2

3) Ibid même page . (3

من
بل ان المرتزقة الاوربيين او الاتراك الذين كانوا يكونون الحرس الخاص . كما ان القيادة كانت منهم كذلك . وقد تعدت نسبة هؤلاء المرتزقة الثلثين . والسؤال الذي يفرض نفسه لماذا اعتمد المنصور على تلك القوة الغير اصلية بالرغم مما يمكن ان يتبادر للذهن عن ان هؤلاء عديمي التجربة فيما يتعلق بالحروب الصحراوية ؟

لقد اعتبر المنصور تلك الحرب ذات اهمية خاصة وبالتالي عليها بلوغ اهدافها وهي منابع الذهب السوداني . وهو بهذا كان يخشى فشلها ، لذلك تجنب الجيش المغربي الاصل لما كان يلمسه من عدم ثقة فيه أ ومصدر عدم الثقة تلك ربما مرتبطة بفكرة الخشية من الطبقة التجارية التي كانت مصالحها مرتبطة بعدم غزو السودان . او يمكن ارجاعها لنفسية المنصور بعد فشل محاولته الاولى التي راح ضحيتها حوالي العشرين الف جندي . اوربما يكون لكون اولائك المرتزقة يتقنون استخدام الاسلحة النارية . على اي ان هذه الاحتمالات تزكي من فكرة ان المنصور سعى الى الوصول الى معادن الذهب السودانية رغم ما يمكن ان تواجهه من صعوبات ، وبالتالي فهذا يزكي الفكرة الاقتصادية لتلك الحملة .

وكما كان الشأن بالنسبة لاملاح تغازي واعطائها مشروعية دينية للاستيلاء عليها . عمد المنصور لنفس الوسيلة لغزو السودان ، ذلك انه اعتبر تبعية السودان له شرعية لان "رسول الله (ص) قال الائمة من قريش ..والناس تبع لقريش..."(1). وعلى هذا الاساس فالسودانيون "..ملكهم معزول على الامارة شرعا اذ ليس قرشي ولا اجتمعت فيه شرائط السلطنة ..."(2) . ومن خلال مناقشة دارت بين المنصور واحد علماء السودان ، احمد بابا ، يمكن تفنيد الادعاء الديني للمنصور الذي اعتبر انه من خلال غزوه للسودان انما قصد توحيد العالم الاسلامي. بينما فند احمد بابا هذا الادعاء من خلال

---

1 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 132
2 - الوفراني : مصدر سابق - ص. 91

سؤاله للمنصور " لماذا في هذه الحالة لا تقوموا تلك الوحدة مع اتراك تلمسان ..."(1) ذلك ان الهدف الاقتصادي هو الذي دفع المنصور نحو السودان وليس الدوافع الدينية .

وقد يتبادر للذهن هذا السؤال : هل قصد المنصور من خلال غزوه للسودان ايجاد موارد مالية لتمويل الجيش المغربي بهدف معاودة فتح الاندلس وبالتالي فان الهدف من ذلك الغزو هو ديني قبل ان يكون اقتصادي ؟. ربما كان المنصور ينوي معاودة فتح الاندلس غير ان اعتبار ذلك هو السبب المباشر لغزوه للسودان بعيد عن التصور. فوضح ذلك ما رفض المنصور طلب تبعية اسكيا نوح والذي وعده بأداء واجب الخراج مقابل ابقائه حاكما فعليا للسودان. ومن جانب آخر ان المنصور قد بعث الى تلك المناطق خيرة جيشه بشكل يعجز به القيام باي محاولة مثل تلك التي كان ينويها .

من هنا يبقى الهدف الاقتصادي هو الاول والاخير ، ذلك الهدف الذي يسببه عزل المنصور احد قادته المرموقين والذين كان لهم دورهم البارز في ذلك الغزو لمجرد انه تحاور مع اسكيا في شان الصلح . ذلك ان جودر باشا لم يصل الى منابع الذهب والتي كانت الشغل الشاغل للمنصور. ومن ثم عوضه بمحمود باشا احد منافسيه . (2)

هكذا كانت فكرة الوصول الى مناجم الذهب طاغية على المنصور وبالتالي هي التي كانت توجه الحملة . غير انه ثمة احداث تبين لنا ان الفكرة الذهبية - ان صح هذا التعبير - لم تكن طاغية على المنصور وحده بل حتى على الجيش المغربي خاصة المرتزقة منهم الى حد يمكن ان نعتبر ذلك من اهم اسباب انتصار المغاربة .

فلم يخف هؤلاء خيبة املهم عندما وجدوا قصر اسكيا عادي وجد فقير، وكذلك كان الشأن عندما قاموا بتفتيش مدينة جاو ووجدوها عديمة الذهب في حين كانوا يتوقعون عكس ذلك (3). كما ان الجيش كان يقوم بسطو مكشوف على منازل السودانيين وتفتيشهم بحثا عن الذهب.

---

1 - 1) J. Berand - Villars : op-cit P. 100 .

2 - 2) Hesperis (1923) de Castrie op-cit P. 455 .

3 - 3) Ibid P. 452 .

ولقد تمكن أولائك المرتزقة من جمع اموال كثيرة حتى انهم لم يقدموا على طلب اجرهم بعد عودتهم من المنصور .

والسودانيون لم يسلموا ممتلكاتهم بسهولة ، بل لقي الجيش المغربي مقاومة شديدة تزعمها في الاخير اسكيانوح . وقد كبد هؤلاء الجيش المغربي خسائر فادحة في الارواح . وقد ساعدتهم الظروف الطبيعية ، فالمغاربة لم يتعودوا الحرب الغابوية، كما ان دبابة تسي تسي أتت على الكثير من دواب المغاربة الوسيلة الوحيدة للنقل . وهذه المقاومة كانت من صميم السودانيين الذين عرفوا بسيرتهم لمناجمهم الذهبية ؛ ذلك ان السوداني كان يفضل الموت على ان يبوح بسر اماكن مناجم الذهب (1).

غير أن تعنت المنصور ومواصلة عزمه للوصول الى مناجم الذهب جعله يبعث تعزيزات عسكرية كل ما دعت الضرورة ، ثم "..نظر أيده الله في تثقيف احوال البلد وضبط اطرافها وجهاتها برجاله والجثوم على انف اهلها بنقل قبائل المغرب اليها ... فاعتام لذلك من انتقاه من اهل سوس وبلاد حاحة اهل الشوكة والنجدة من قبائل المصامدة وعرب المعقل وقبائل جشم.." (2) وبذلك تمكن من وضع يده على بلاد السودان .

وعلى الرغم من طغيان الجانب الاقتصادي ، فلم تنعدم الاسباب السياسية لتلك الحملة .فمن جهة احس المنصور بنوع من عدم الثقة بين مختلف الاوساط المغربية ، خاصة وان معظمهم كان يعتقد ان فضل انتصار القصر الكبير يرجع بالاساس الى المعتصم - كما ان الثورات المختلفة بما فيها خروج فاس عن طاعته بتاييدها لابنه المأمون ، كل ذلك جعل المنصور يحس بضرورة اعادة الثقة لنفسه في حروب خارجية جديدة ولم يكن امامه الا السودان بعد عجزه امام الاتراك والايبيريين . من هنا تبدو لنا ايضا الاسباب

---

1 - د. زاهر رياض : مرجع سابق - ص. 110
2 - الفشتالي : مصدر سابق - ص . 164

التاريخية واضحة من خلال غزو السودان ، ذلك ان المغرب كانت تراوده دائما فكرة تكوين المغرب الكبير وفكرة الوحدة والتوسع بالاضافة الى كل تلك الاسباب نجد ايضا اسبابا استراتيجية تمثل في محاولة المنصور لقطع الطريق امام الاتراك اذا ما فكروا في التوسع في تلك البقاع وتضييق الخناق على المغرب. وهم لا يعدمون حجة على اساس انهم يمثلون الخلافة الاسلامية وعليهم ايضا حق خراج تلك البلاد الاسلامية .

وفي اطار هذه الاسباب الاستراتيجية ، والتى لا يمكن فصلها عن الاقتصادية ، يبرز لنا التنافس السعدي الاسباني حول تلك الممتلكات الغنية في الجنوب، ذلك ان الاسبان ومذهبها التجاري لم تعد تفكر في ذهب السودان فحسب عبر التجارة مع المغرب انما سعت الى الوصول اليه عبر وسائلها الخاصة . وقد شجعتها الى ذلك عدة عوامل في مقدمتها الكشوفات الجغرافية التى ازالت من عقول الاسبانيين كل تلك الخرافات والمعتقدات القديمة عن انسان افريقيا ، وبالتالي صعوبة التعامل مع ذلك المخلوق الغريب . بل ان تلك الاكتشافات ومن خلال العديد من خرائط بعض المكتشفين سهلت على الاسبان امكانيات البحث عن مصادر المناجم الذهبية بتوضيحها لمختلف الطرق المؤدية اليها (1) . وفعلا اخذ الاسبانيون يتمكنون شيئا فشيئا من غايتهم تلك بعدما استولوا على العديد من الجزر المقابلة للساحل الغربي الافريقي ، ثم بعد ذلك عن طريق القيام باعمال التجارة المباشرة مع السودانيين لذلك لم يكن امام السعديين الا الاستيلاء الفعلي لتلك المناجم وجعل حد لاطماع الاسبان .

والحقيقة ان نفوذ المنصور في المنطقة استطاع ان يفشل جميع المخططات الاسبانية غير انه بعد وفاة المنصور ، وبعد تجدد الازمة المغربية انتهى الامر لصالح الاسبان ويتضح ذلك من خلال تدهور

---

1 - د. زاهر رياض : مرجع سابق - ص. 149

ميزان المثقال الذهبي اساس العملة المغربية كما كان في عهد المنصور بشكل خطير . ويتجلى لنا هذا التدهور اكثر وضوحا من خلال دراسة نتائج غزو السودان والتي توضح لنا ايضا الاساس الاقتصادي لذلك الغزو .

4 - نتائج غزو السودان في السياسة السعدية عامة :

لقد كان غزو السودان من اطول الحروب التي خاضها السعديون اذ انها استمرت لمدة لا تقل عن الاثنى عشرة سنة . وهي بهذا لابد ان تكون قد استنزفت القوة البشرية المغربية والمادية . وبالمقابل لا يمكن اغفال عوائدها الاقتصادية على المغرب على عهد المنصور. فما الجوانب الايجابية والسلبية لتلك المعركة ؟ .

كما سبقت الاشارة ان التحركات السعدية تجاه السودان منذ بداية امرهم سواء عن طريق مراسلة ملوكهم في شأن الخراج او الاستيلاء على توات وتيكرارين ثم اخيرا من خلال الاستيلاء الفعلي للسودان كانت تحركات اقتصادية بالاساس كان الهدف الاول والاخير منها هو الوصول الى ذهب السودان ورقيقه . فالى اي حد تمكن السعديون بلوغ تلك الاهداف ؟ .

بعد تمكن السعديون من المملكة السودانية والتوصل الى منابع معادنها الذهبية ثم " البناء عليها واختطاط الحصون الجاتمة عليها وترتيب الجيش فيها لحياطتها (1) "، تزايد بذلك خراج بيت المال ، من جهة مع مادخل مع الجيش المغربي من ذهب ومن جهة ثانية مع ماكان يجلب من السودان كخراج سنوي. فقد " تسلم سلطان مراكش من تبر الذهب ما اوقع الاضطراب في الاتباع وادهش المراقبين ، ولم يعد المنصور يدفع مرتبات موظفيه الا بالذهب الخالص دينار ذووزن طيب .. وكانت هذه الكثرة من الذهب هي التي اعطت السلطان اسم الذهبي .."(2) . وتوضح لنا احدى الرسائل المعاصرة نسبة ذلك الذهب الذى دخل المغرب

---

1 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 165
2 - الوفراني : مصدرا سابق - ص. 95

الى السودان ثلاثة وعشرين الف رجل من احسن فرقي ..وقد لقي هؤلاء كلهم حتفهم عدا خمس مائة الذين عادوا ليموتوا بمراكش.."(1)

من هنا يتضح لنا ان النتائج السلبية لتلك الحروب فاقت الايجابية منها ، وذلك ما يفسر لنا عدم اهتمام ابناء المنصور بالاقطار السودانية رغم تقديم البيعة من طرف هؤلاء لزيدان.

هكذا اذن كانت تلك الحروب التى استهدفت غزو السودان حروبا اقتصادية ولم تنفصل عن الهدف الاقتصادي من اسبابها الى نتائجها رغم السمات السياسية والدينية لبعض مظاهرها .

ولقد كان هذا العامل الاقتصادي في مقدمة الاسباب التي وجهت المغاربة لخوض غمار حروب ذات طبيعة مختلفة خلال القرن 17 ، تلك هي الحروب البحرية . فما هي الاسس التي ارتكزت عليها تلك الحروب ؟

---

1 -

1) Hosperis ((1923) op-cit P. 457 .

الباب الرابع :

الحروب البحرية :

- البحرية المغربية في عهد السعديين .
- الاسس التاريخية للحروب البحرية .
- الاسس الاقتصادية للحروب البحرية .
- الاسس السياسية للحروب البحرية .

ان فشل الحكومة المركزية في التصدي للايبيريين وتجدد خطورة هؤلاء بعد وفاة المنصور جعل دور الدفاع عن البلاد ينتقل الى ايد العامة من الشعب ، والحروب البحرية التى عرفها مغرب القرن 16 السعدي واحدة من تلك الحركات الشعبي ضد التهديد الايبيري . واذا كانت مختلف تلك الحركات غير هذه ، قد انطلقت معظمها من زوايا ورباطات ، فان حركة الجهاد البحري - كما يسميها البعض - انطلقت من مركز اجتماعي وسياسي واقتصادي مختلف تماما . لهذا جاءت طبيعة تلك الحروب مختلفة باختلاف اسبابها واهدافها وطريقتها مما ميز تلك الحروب عن باقي الحروب التى عرفها المغرب خلال عهد السعديين . ومركز انطلاقها ذلك لم يكن عفوي ، انما اثرت في ايجاده احداث تاريخية ودوافع جغرافية استراتيجية ، بينما تعدى هدفها الهدف الديني والسياسي للاهداف الاقتصادية .

من هنا فان دراسة هذا النوع من الحروب يختلف عن سابقتها التي سبقت الاشارة اليها . ذلك ان في هذا الباب ، ولندرة المصادر والمراجع التى تتحدث عن ذلك النشاط الحربي ساتخذ من احداث تلك الحركة قاعدة لدراسة طبيعة الحروب التي عرفتها . خاصة وان اسباب واهداف هذه الحركة البحرية تداخلت فيما بينها مما جعل طبيعة تلك الحروب هي بالتالي متفاعلة بشكل لا يمكن معه اعتبار اي منها كسمة بارزة لتلك الحروب . فهي لا يمكن فصلها عن الاحداث التاريخية التى سبقتها ولا تلك التي دارت في حلبتها كأحداث عملية الاسترداد المسيحي للاندلس وما ترتب عنها من طرد جماعي لمسلمي الاندلس الذين سيكونون النواة الاساسية لحركة الجهاد البحري ، ثم ان الاحداث الاوربية التى كان لها دورها الفعال في تطور تلك الحركة . من هنا فان الطبيعة التاريخية سمة تفرض نفسها على تلك الحركة نتيجة لجوء اولائك الموريسكيين الى تكوين نظام سياسي خاص مستقل على السلطة المركزية ، بعدما

كانوا في بداية امرهم قد انفصلوا عن الوسط المغربي نظرا لما
لقوه من لامبالاة في البلاط السعدي وتباين في العادات والتقاليد
مع المجتمع المغربي ، ثم نظرا لطبيعتهم وتكوينهم الذى جعلهم
ينفرون من اي تبعية كانت . هكذا اذن فان السمة السياسية كانت
تمثل جانب مهما في طبيعة تلك الحروب.

غير ان فصل ذلك النشاط عن الاهداف الاقتصادية يعد من قبيل
المستحيل ذلك ان تلك الاهداف كانت اساس تواجده واصل طبيعته.
ولكي تتضح لنا اهمية تلك الحركة كنشاط حربي بحري ، ومدى المكانة
والتفوق الذي وصله اسطول تلك "الجمهورية" بشكل هدد اقوى الدول
الاوربية بحريا ، علينا ان نتعرض الى البحرية السعدية والتي كما
سيتضح لم تصل الى مكانة بارزة حتى في اوج ازدهار تلك الدولة.

1 - البحرية المغربية في عهد السعديين :

لم يشكل الاسطول المغربي يوما ما خطرا يهدد الدول المجاورة
له . لقد كان فعلا قوة يخشى بأسها في عهد المرابطين لما كان
لهؤلاء من حروب متعددة مع العالم الاوربي اثناء حروب التصدي
لحركة الاسترداد المسيحي . غير ان ظهور الاتراك كقوة بحرية عالمية
ولتطور الملاحة الاوربية بعد عصر النهضة بشكل كانت معه سر تقويتها
خاصة الدولتين الايبيرتين . ثم اخيرا الاستيلاء المسيحي للسواحل
المغربية مع تقلص النفوذ المغربي ليشمل فقط المغرب الاقصى.
كل ذلك وغيره سبب في تعدر وجود اسطول مغربي يذكر. لكن في نفس
الوقت ، لكل تلك العوامل حاول السعديون خلق اسطول بعدما تمكنوا
من المغرب و"لم يعد ينقصهم فى منتصف القرن 16 الا بحرية والتى
سيعمل الاتراك لتزويدهم بها "(1) .

ولقد كانت بداية خلق بحرية سعدية منذ ذلك التاريخ خلال
حكم محمد الشيخ الذي عمل على اعادة بناء الاسطول المغربي. فقد امر

---

1) S.I.H.M. (de Castrie) op-cit P. I60 . - 1

محمد الشيخ بقطع الشجر وانشاء مصانع للسفن ببا ديس وسلا فتم له بذلك بناء العديد من الغليونات وقد كانت معظمها تحت امرة الاتراك (1) . ذلك ان الاتراك كانوا يكونون عضد البحرية المغربية فقد ".. دخل الف تركي في خدمة الشريف كان معظمهم بحارة.."(2) كما ظهرت بعض الموانئ المغربية التى تقوم بوظيفة الموانئ الحربية مثل العرائش وتطوان وسلا وباديس . وبفضل محمد الشيخ ثم الغالب من بعده ، وبتزويد من الفنيين الاتراك في هذا المجال وصلت البحرية السعدية في عهد الغالب الى حوالي اربعين سفينة وغليونة (3) ، هذا العدد الذي سنجدو ثابتا حتى ظهور جمهورية سلا والتى اعتمدت بالاساس في تدعيمها وتفوقها على البحرية ، تلك البحرية التى كونتها من خلال استيلائها على السفن الاوربية بحيث انه في ظرف عشرين سنة "..اكثر من الف شراع مسيحي من مختلف البلدان الاوربية قد أخذوا من طرف القراصنة . "(4)

ولقد حاول المنصور تقوية مجاله الحربي البحري . فقد ".. صرف همته ايده الله الى اتخاد الاسطول برباط سلا ..فتعددت مراكبه وعقد على رياسته لرجل من اهل المغرب يدعى الرايس ابراهيم الشط .."(5) . وقد كون المنصور فرقا ضمن جيشه النظامي مخصصة لبناء السفن كان يشرف عليها فنيون اتراك . وقد كانت هذه الفرق تتقن عملها بحيث انها كانت تنجز اعمالها في ظرف وجيز من الزمن ونلاحظ هذا مثلا من خلال قيام جودر باشا ببناء اساطيل بحرية لعبور نهر النيل في فترة وجيزة وهو بارض السودان . وقدكانت

---

1) Hesperis (I972) op-cit P. 92 .

2) S.I.H.M. de Castrie op-cit P. 229 .

3) Hesperis (I972) Ibid P. 93 .

4) J. Brignon op-cit P. 230 .

5 - الفشتالي : مصدر سابق - ص. 204

نية المنصور من وراء بناء اسطول بحري هي معاودة فتح الاندلس ويتضح هذا من خلال قوله مخاطبا الشيخ البكري في احدى رسائله انني "..كلفت لتجديد الاسطول والاستكثار من المراكب المتكفلة للغزو والجهاد بفناء كل ديبار مسطول .."(1).

ولقد اصبح اسطول المنصور فعلا قوة يخشى بأسها في الدفاع والهجوم ، فقد قام بهجومات متعددة على جزر كناريا واحرز انتصارات عديدة بها (2). هذا التفوق البحري اهله لكسب ود ايزبيلا ملكة الانجليز حيث ابرم معها عدة اتفاقيات ومعاهدات تتضمن العمل المشترك ضد قشتالة عدوة الطرفين.

غير انه خلال فترة الحكم السعدي باكمله ، وبالرغم من الحروب الكثيرة التى ميزته ، لم يقم ذلك الاسطول السعدي بدور فعال في تلك الحروب ولم تشهد غارات بحرية سعدية الى حد يمكن القول معه انه انعدم دور الاسطول المغربي في الحروب السعدية. بل حتى في مجال التجارة العالمية فالمغرب انعدمت سفنه التجارية رغم الدور الفعال الذى كان له في ميدان المبادلات التجارية. وقد كانت معظم عمليات التبادل التجاري تتم عن طريق السفن الاوربية.

من هنا لا يمكننا التحدث عن حروب بحرية في اطار الاسطول النظامي السعدي رغم ما كان من تشجيع من طرف السعديين لبعض الحركات القرصنية التي كانت تنطلق من تطوان والعرائش ، لانه لم يشكل في عمقه خطرا على الدول المجاورة. وفي المقابل فقد كانت العمليات القرصنية خلال القرن السابع عشر الشغل الشاغل للدول الاوربية ، ذلك ان تلك العمليات لم تتوقف عند حد السواحل المغربية بل كانت تجوب المحيط الاطلسي شمالا وغربا لكي تصل حتى بحر المانش والسواحل الانجليزية ، كما كانت تحادي سواحل

---

1 - د. عبد الله كنون : رسائل سعدية - ص.53 -54 تطوان1954
2 - الفشتالي : مصدر سابق - (هامش ص.196 كريم)

نية المنصور من وراء بناء اسطول بحري هي معاودة فتح الاندلس ويتضح هذا من خلال قوله مخاطبا الشيخ البكري في احدى رسائله، انني "..كلفت لتجديد الاسطول والاستكثار من المراكب المتكفلة للغزو والجهاد بقضاء كل دين ممطول .."(1) .

ولقد اصبح اسطول المنصور فعلا قوة يخشي بأسها في الدفاع والهجوم ، فقد قام بهجومات متعددة على جزر كانارية واحرز انتصارات عديدة بها (2). هذا التفوق البحري اهله لكسب ود ايزبيلا ملكة الانجليز حيث ابرم معها عدة اتفاقيات ومعاهدات تتضمن العمل المشترك ضد قشتالة عدوة الطرفين .

غير انه خلال فترة الحكم السعدي باكمله ، وبالرغم من الحروب الكثيرة التى ميزته ، لم يقم ذلك الاسطول السعدي بدور فعال في تلك الحروب ولم نشهد غارات بحرية سعدية الى حد يمكن القول معه انه انعدم دور الاسطول المغربي في الحروب السعدية . بل حتى في مجال التجارة العالمية فالمغرب انعدمت سفنه التجارية رغم الدور الفعال الذى كان له في ميدان المبادلات التجارية . وقد كانت معظم عمليات التبادل التجاري تتم عن طريق السفن الاوربية .

من هنا لا يمكننا التحدث عن حروب بحرية في اطار الاسطول النظامي السعدي رغم ما كان من تشجيع من طرف السعديين لبعض الحركات القرصنية التي كانت تنطلق من تطوان والعرائش ، لانه لم يشكل في عمقه خطرا على الدول المجاورة . وفي المقابل فقد كانت العمليات القرصنية خلال القرن السابع عشر الشغل الشاغل للدول الاوربية ، ذلك ان تلك العمليات لم تتوقف عند حد السواحل المغربية بل كانت تجوب المحيط الاطلسي شمالا وغربا لكي تصل حتى بحر المانش والسواحل الانجليزية ، كما كانت تحادي سواحل

---

1 _ د. عبد الله كنون : رسائل سعدية _ ص. 53 _54 تطوان 1954

2 _ الفشتالي : مصدر سابق _ (هامش ص. 196 كريم)

العالم الجديد . وهي بذلك كانت تراقب اهم الطرق التجارية البحرية وتشكل خطرا مزمنا على الاساطيل الاوربية .

غير ان الاطار التاريخي لهذه الحركة هو الذي كان في مقدمة الاحداث التي ساهمت في تكوينها وتقويتها ومن هنا لا يمكن التحدث عنها بعيدا عن الطبيعة التاريخية لها .

2 - الاسس التاريخية للحروب البحرية :

لقد سبقت الاشارة ان ألاطار التاريخي لهذه الحركة ازدوج بين الاحداث التي سبقت تلك الحروب والاخرى التي دارت في حلبتها . وبذلك كانت الطبيعة التاريخية سمة بارزة لتلك الحروب. فلقد كانت حركات الاسترداد المسيحي ثم ما تبعها من اضطهاد ديني في اسبانيا الكاتوليكية والمتمثل في محاكم التفتيش وبالتالي الحد من ديانات غير الكاتوليكية سببا في هجرة عدد غير قليل من مسلمي الاندلس الى المغرب الاقصى . وقد كان الحرناشيون ابرز اولائك الفئات الاندلسية الوافدة على المغرب والتي انتهى بها المطاف لتستقر بسلا (1) . وقد كان سبب تجمع الموركسيين بسلا يرجع الى كون الاوضاع الاجتماعية بالمغرب اختلفت عن اوضاعهم التي عاشوها في اسبانيا مما حدى بهم الى حب العزلة والتكتل بسلا والتي كان قد وجد بها من قبل عدد آخر من الاندلسيين (2).

انطلاقا من هذه الاحداث تتضح لنا عدة اشياء لها دورها الفعال في نجاح حركة الجهاد البحري. فلقد كان اولائك الموركسيين من بين اغنياء الاسبانيين وهم بهذا يملكون المادة التي تخول لهم ايجاد متطلبات تكوين اسطول بحري وعتاده الحربي. من جهة ثانية فقد عاشروا الاسبانيين فترة من الزمن مكنتهم من

---

1) Brignon op-cit P. 229 .

1 - د. ابراهيم حركات . مرجع سابق - ص. 323 (المجلد الثاني)

2 -

التعرف على الطرق البحرية الحربية الاوربية . ومن جهة ثالثة فان لهذه الطائفة الاندلسية خبرة عسكرية كبيرة ومهارة في استعمال الاسلحة النارية حتى انهم كانوا من بين الفرق العسكرية المقربة في الجيش النظامي السعدي . علاوة على تميزهم بتجربة بحرية هامة . انطلاقا من كل ذلك وبكل تلك الامكانيات ،فان حقدهم على الاسبانيين خاصة والاوربيين عامة كان يوجههم نحو الثأر من اولائك الاعداء التاريخيين باي الطرق التي تمكنهم ذلك ولم يكن امامهم الا البحر واعتراض السفن المسيحية والاستيلاء عليها مستعملين طريقة الهجوم المباغث والسريع .

والطبيعة التاريخية تتجلى لنا ايضا من خلال علاقةالصراعات الاوربية بنمو وازدهار الحركة القرصنية . فالبرتغاليون كانوا قد فقدوا اهميتهم البحرية بعدما انظمت البرتغال الى الحكم القشتالي وما تلى ذلك منصراعات بين دونانطونيو ودون فليب ، وما كان لهذا الصراع من دور في تدهور البحرية البرتغالية وانعكاساته السيئة على مستعمرات البلدين . ثم كان الصراع الانجليزي الاسباني وانهزام الاسبانيين في الارمدا مما قلص اهمية البحرية الاسبانية . هذا زيادة على الصراع الاوربي الشامل خلال القرن 17 والمتمثل في حرب الثلاثين عاما والذي كان سببا في لجوء بعض تلك القوى الاوربية الى تشجيع القراصنة المغاربة ضد خصومهم الاوربيين . وعلى سبيل المثال تشجيع الهولنديين للقراصنة المغاربة على شن الغارات على السفن التجارية الانجليزية واستخدامهم كذلك ضد الاسبان (1) .

هذه الاحداث قلصت من التفوق البحري الاوربي بشكل عام في حين كانت بالمقابل عاملا مشجعا لنمو البحرية القرصنية المغربية . غير ان هذه الاحداث التاريخية ولا الشعور بالانتقام من الايبيريين لم يكونا الدافع الوحيد لترعرع الحركة السلوية .

---

1) Brignon op-cit P. 229 .

انما ما حققه هؤلاء من ارباح اقتصادية من جراء عملية الاستيلاء على البواخر الاوربية هو الذي كان يدفعهم لمعاودة الكرة وبالتالي زيادة العمليات القرصنية وتطوير وسائلهم . من هنا فالعامل الاقتصادي لا يمكن تجاهله على الاطلاق كعامل اساسي لتلك الحروب البحرية .

3 - الاسس الاقتصادية للحروب البحرية :

لقد كانت عمليات النهب التي كان يقوم بها القراصنة السلاويين المصدر المادي الاساسي والوحيد لجمهوريتهم . فقد حققت لهم تلك العمليات ارباحا مادية هامة من خلال استيلائهم على بعض السفن والتي مكنتهم من جهة للحصول على المنتوجات التي كانت توجد بها من توابل وذهب ومنسوجات وغيرها . وكانت هذه السلعة المغتنمة تباع باثمان مناسبة في الاسواق الداخلية والخارجية بشكل اصبحت تنافس معه السلع المحلية . وقد كان المهربون الاوربيون اهم تجار تلك البضائع والذين كانوا يعيدون بيعها باثمان مرتفعة في الاسواق الاوربية . من جهة ثانية كان القراصنة يأسرون ما بتلك السفن من ركاب والذين كانوا يحصلون مقابل الافراج عنهم فدية كبيرة . هكذا فالطبيعة الاقتصادية تتجلى لنا من خلال ذلك المردود الكبير لهذه الحركة ، فقد "كانت سنة واحدة من مردود الاعمال القرصنية تجلب لجمارك سلا اكثر ما كانت تجلبه سنة كاملة من الضرائب في عهد المنصور بالنسبة للمملكة ككل "(1) . ومن خلال هذه المقارنة البسيطة يتضح لنا مدى الربح الفعال الذي كانت تدره تلك الحركة خاصة اذا علمنا ان ذلك المردود كان يمثل في الحقيقة عشر ما كان يغنمه قراصنة سلا لانه لم يمثل الا الرسوم الجمركية المسجلة(2) وفعلا في ظرف عشر سنوات استطاع السلاويون اسر ازيد من ستة الاف اوربي وحصلوا على ما يفوق خمسة عشر مليون ليرة، بالاضافة

1) Brignon op-cit P. 228 .

2) Ibid :

- 1

- 2

الى ما لايقل عن الالف سفينة .

وليس بغريب ان تساند الحكومة المركزية والمتمثلة في حكم زيدان هذا النشاط ذلك انها كانت بالنسبة لها مصدرا اقتصاديا بدون تكاليف حيث ان قراصنة سلا كانوا "... يقدمون عشر مواردهم الى السلطان زيدان الذي اعترف لهم بهذه الطريقة ..." (1) .

ولقد كان سر نجاح عمليات القراصنة تلك الطريقة التي نهجوها خلال هجوماتهم . لقد كان اغنياء اولائك الموريسكيين هم ارباب السفن والذين تقع على عاتقهم كل مصاريف التجهيز والمؤونة . وقد كانوا يزودون سفنهم بآلات حربية حديثة من مدافع واسلحة نارية . وهم ، لكي لا تحدد مناطق غاراتهم كانوا يغيرون اماكن عملياتهم وذلك من اجل القيام بغارات مباغتة وسريعة . بعدها كانوا ينقلون كل ما اغتنموه الى مركز انطلاقهم سلا والتي كانت بموقعها الستراتيجي تتحكم في مختلف الطرق التجارية البحرية كما تتحكم في مدخل جبل طارق . ورغم محاولات الاوربيين لضرب هذه الحركة الا انهم لم يوفقوا لما كان لتلك الحركة من تجهيز وحسن المراقبة . وبذلك كانوا يفوقون الاوربيين في البحر بعدما فشلوا في البر وبعثوا في صفوفهم الرعب .

ولم تكن حركات القراصنة تلك عشوائية ، انما كانوا منظمين نظاما محكما وبجهازهم الاداري والمسير الذي اعطى تلك الحركة اسس سياسية .

4 - الاسس السياسية للحروب البحرية :

ان تكوين "جمهورية سلوية" لدليل قاطع على الابعاد السياسية التي اخذتها حركة الجهاد البحري في القرن 17 . ذلك انه اذا كانت هذه الحركة في عمقها لم تطمح الى الحكم المركزي ، فانها استطاعت تكوين دويلة مستقلة . واذا اطلق عليها المؤرخون المعاصرون اسم

---

1 - ابراهيم حركات : مرجع سابق - ص. 324

"جمهورية" فذلك لما عرفته من انظمة في ادارة حكومتها . فقد كان لاختلاف هؤلاء الموريسكيين مع الوضع المغربي ثم ما تبع ذلك من اختلافهم مع السلويين بعد انفصالهم عن حركة المجاهد العياشي والذي ذهب به الحد الى اصدار فتاوي تجيز قتالهم . ثم اخيرا لخروجهم عن زيدان لتعامله مع الاسبان لدرجة تركته يبيع لهم العرائش ، لكل هذا تكتل الموريسكيون وانعزلوا عن باقي المجتمع المغربي . ولقد نظمت جمهورتهم حسب الاعراف الاسبانية فقد كان الحكم يخضع لحكومة منتخبة كل سنة ويساعدها ديوان خاص اشبه ما يكون بالمجلس البلدي (1) . كما كانت لها جماركها الخاصة .

ولقد كانت لهذه "الجمهورية" علاقات خارجية من جهة مع قراصنة الاتراك حيث عملوا جنبا لجنب في ميدان القرصنة مما جعل تلك العلاقة علاقة تعاون (2) . من جهة اخرى لقد سبقت الاشارة الى اتصال هؤلاء ببعض القوى الاوربية مثل الهولنديين . كما كانت لهم علاقة تجارية مع مختلف الحركات المستقلة المتواجدة بالمغرب مثل تلك التى كانت لهم مع الدلائيين.

ولم يخرج بعض المؤرخين - خاصة المغاربة منهم - هذه الحركة عن مثيلاتها في القيام بعمليات الجهاد. غير ان هؤلاء يربطون حركة الجهاد بمعناها الديني على كل حروب استهدفت قوى مسيحية . لكن الاطار الديني هذا للحركة القرصنية بعيد عن الحقيقة لان هدف القراصنة كان بعيدا عن الهدف الديني لانهم لم يكونوا في محاربتهم تلك للمسيحيين ينوون محاربة المسيحية كديانة انما محاربة مسيحيين مجردين . فالموريسكيون لو كانوا فعلا يرمون من خلال حروبهم تلك القيام باعمال الجهاد لما تخلفوا عن العمل المشترك مع حركة العياشي والتي كانت سلا مركزها بل بالعكس كانوا من بين اسباب فشلها والتي يمكن اعتبارها الحركة الوحيدة الدينية الهدف لتجردها من الاهواء الشخصية . ثم

---

1 - 1) Brignon op-cit P. 230 .

2 - ابراهيم حركات : مرجع سابق - ص. 324

ان هؤلاء الموريسكيين بغاراتهم تلك لم يكونوا يقومون بنشر عقيدتهم ولا بايقاف عقيدة الغير . هذا بالاضافة الى كونهم لم يشنوا اية حملة على الثغور الايبيرية المتواجدة على السواحل المغربية . الا ان هذا لا يمنعنا من القول بان تلك الحركة خدمت المصالح الدينية من خلال قيامها بالحد من التدخل المسيحي في وقت كان فيه المغرب منقسما وكانت حكومته المركزية تلفظ انفاسها الاخيرة .

والجدير بالملاحظة ان حركة القرصنة تلك هي حركة لا تتحدد بوطن معين ولا بفترة زمنية محددة . فاننا نجد حركات قرصنية في مواطن مختلفة كالجزائر وطرابلس وتونس وغيرها . كما اننا نجدها في اطار الحكم العثماني كما نجدها في اطار السعديين وستستمر مع العلويين . وقد ضمت تلك الجمهورية قراصنة دوي جنسيات مختلفة من اتراك واندلسيين وابريطانيين وهولنديين وما الى ذلك .

مما سبق يمكننا ان نستخلص ان الحروب البحرية هي في الاصل حركة قرصنية ، استهدفت السفن التجارية العابرة للمحيط الاطلسي ، ساهمت مجموعة من العوامل التاريخية في تجميع عدد كبير من محترفي القرصنة ، غالبيتهم موريسكيين ، بموقع استراتيجي يتحكم في مجرى الحركة التجارية البحرية . وتم لهم تكوين وحدة سياسية تسير شؤونهم الحربية وعلاقاتهم الخارجية ونشاطهم التجاري. وقد ارتبطت شهرتهم بنجاحهم الكبير الذى حققوه ضد السفن الاوربية مما كان سببا في تهديد فعال للاساطيل التجارية . كما ساعدهم نجاحهم ذلك على توسيع رقعة نشاطهم القرصني. ولكل تلك الاشياء جاءت طبيعة تلك الحروب البحرية متداخلة .

خـــاتمـــة :

لقد اتجه السعديون بحروبهم الى هدف محدد تكيف وظروف كل مرحلة . كما طوعوها تبعا لتطور نفوذهم السياسي من مجرد الحكم القبلي بالسوس مرورا بامارة مغربية موحدة الى امبراطورية ضمت المغرب والسودان الغربي. غير ان اهدافهم كانت تسير وفق المتغيرات الاجتماعية والاقتصادية العالمية التي عرفها عالم القرن 16 . كما كانت (اهدافهم) عند حدود الاطار الاجتماعي المغربي وتقلباته الاقتصادية والسياسية . من هنا فالحروب السعدية لم تكن بمنأى عن تلك المتغيرات المحلية والعالمية، فهي ان لم تؤثر فيها فقد تأثرت بها الى ابعد الحدود.

ودراسة طبيعة الحروب السعدية يتركنا نتعدى الوقوف على احداث تلك الحروب للاطلاع على الواقع المغربي الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لتلك الفترة . ذلك ان تلك الجوانب بكاملها هي التي وجهت حروب السعديين داخل الاطار العالمي العام الذي اخذ جذوره قبل هذا التاريخ .

فالاحتلال المسيحي للسواحل المغربية مع فشل الحكومة المركزية الوطاسية للتصدي له من جهة ، والواقع الاجتماعي المغربي الذي كان يعتبر الجهاد واجب مقدس من جهة ثانية هو الذي ترك السعديين يركزون اهتمامهم في البداية على الحروب الدينية . فلقد كان المجتمع المغربي يرى في التدخل المسيحي خطرا يهدد تواجد المغرب ككيان اسلامي مستقل ويهدد وحدته . لذلك فقد كان المغاربة يرون ضرورة التصدي للايبيريين وقد اتضح لنا هذا من خلال نداءات الطبقة المثقفة ورجال الدين ، حتى ان جهاد المثقفين كان له دوره الفعال في نجاح الحركة السعدية الجازولية في البداية لقيامها اساسا بهدف الجهاد ضد العدو الكافر . كما كان له اكبر الاثر في الانتصارات السعدية في حروبهم الدينية .

غير ان الراية الجهادية السعدية لم تستمر في فراغ سياسي كما ان المجتمع المغربي لا يرفض السعديين كقوة سياسية بل على العكس من ذلك فهو الذي بايعهم وشجعهم على تكوين وحدة سياسية في الجنوب ، ونحن نعلم ان القوة السعدية الاولى كانت من ابناء تلك القبائل الموالية . ذلك ان شروط الخلافة كانت تستوجب القيام بالعمل الجهادي . وما دام الجهاد كان الهدف الذى قام من اجله السعديون ، وما دام كذلك الوطاسيون ممثلي السلطة السياسية المتواجدة انذاك لم يقوموا بواجبهم الجهادي احسن قيام ، فان البيعة جائزة في الاولين (السعديين) في حين تسقط شرعا في الاخيرين . ثم لا يخفى عنا ما كان من تأصل في المغاربة من فكرة الوحدة وتكوين مغرب موحد لما كان لانعدام ذلك من اخطار اجتماعية واقتصادية تمثلت بالاساس في تهديد البرتغاليين للتجارة الجنوبية بالاضافة للانعدام الامن الذي يقلل من نشاط حركة القوافل .

هذه القبلية المغربية بالاضافة للطموحات السعدية جعلت هؤلاء يوجهون حروبهم نحو توحيد البلاد بالقضاء على السلطة المركزية بفاس والحركات الانفصالية الاخرى . هكذا اذن اخذت الصبغة السياسية تبرز اكثر في الحروب السعدية . وتلك الطبيعة ستتخذ ابعادا شخصية وقبلية بشكل سيبعد حروب السعديين شيئا فشيئا عن الجهاد هدفها الاول . واذا كان الامراء السعديون الاولون ، ولكي لا يفقدوا ثقة المجتمع المغربي ، خاصة مع تجدد بعض النشاط الجهادي الوطاسي في الشمال لم يتوجهوا كلية للحروب السياسية فان الامراء الذين جاءوا بعدهم ومع استتباب الامر لهم انجرفوا وراء نزعاتهم الدنيوية في حين طرحوا الجهاد جانبا الى حد ابرام الهدنات مع مسيحيين ضد مسلمين امثال الاتراك .

لكن تطور النزعة السياسية بين افراد الاسرة الحاكمة اذت الى صراعات اسرية داخلية مما تسبب كما اتضح سابقا الى .

تدخل القوى الخارجية لاثارة الفوضى والاستيلاء على مزيد من المناطق الستراتيجية . رغم كل ذلك فقد حافظت الاسرة السعدية على بقائها الا ان الاقتصاد المغربي تضعضع وكثرت الثورات .هذا الوضع كان له اكبر الاثر في نهج السعديين سياسة توسعية يرمون من خلالها صرف الراي العام المغربي عن تلك المشاكل الاقتصادية والاجتماعية ومحاولة الوصول الى ثروات السودان قصد تعويض العجز الحاصل في ميزان الدولة .

وفعلا وصل السعديون منابع الذهب السودانية فكان ان جلب الكثير من ذلك الذهب الى المغرب مما تسبب في ارتفاع مثقال الذهب . لكن هذه الحروب الاقتصادية رغم ما جلبته من معادن نفيسة فانها لم تحل كل المشاكل بقدر ما جلبت على المغرب مشاكل جديدة والتى سيكون لها اكبر الاثر على الاوضاع المغربية خلال القرن الموالي .

غير انه اذا كان السعديون قد اهملوا الاعمال الجهادية ، فهذه لم تهمل من طرف العامة من الشعب التى كانت تؤمن بواجب الجهاد ، فظهرت الزوايا والرباطات مقر المجاهدين وان كان معظم حركاتهم اخذت هي الاخرى ابعادا سياسية كالزاوية الدلائية والسملالية ، او ابعادا اقتصادية كحركة الجهاد البحري ، ابعدها عن الغاية الدينية .

والسعديون خلال حروبهم تلك طوروا وسائلهم الحربية بشكل تتلاءم وطبيعة تلك الحروب . وقد استطاعوا تكوين جيش نظامي حديث التكوين مزود باحدث الاسلحة غير انهم فشلوا في تكوين بحرية تدعم قوتهم العسكرية مما انعدم معه حروب بحرية سعدية عكس ما عرف عن قراصنة سلا والذين اعتمدوا اساسا على البحر.

من هنا فقد كانت اهمية الحروب في تاريخ الدولة السعدية بمكان لان دراستها تجسد لنا بالاضافة الي تلك الاحداث الواقع

المغربي والعلاقات الدولية في ذلك القرن . الا ان دراسة طبيعة الحروب تتطلب دراسة جوانب اخرى لتلك الحروب. فاذا كانت الظواهر الدينية والسياسية والاقتصادية جوانب مهمة من تلك الطبيعة ، الا انها تكون جانبا فقط من تلك الدراسة. الا ان ضيق الوقت بالاضافة للعمل الدراسي الاخر وانعدام تجربة تسهل طريقة استعمال المعلومات واستقصاؤها من المصادر والمراجع مع ندرة هذه الاخيرة وتعذر العثور على الموجود منها . كل ذلك هو الذي حال دون التطرق الى جميع جوانب الموضوع، مثل دراسة الجانب الديمغرافي من خلال تلك الحروب او التطور العسكري السعدي ودراسات اخرى كان من الممكن ادراجها ضمن هذا البحث.

ملحق: الحروب السعدية (المصدر: نزهة الحادي – الوفراني)

اسم المعركة	تاريخها	طبيعتها وملاحظات حولها	ص.
		1) الحروب السياسية:	
حصار مراكش	احمد الاعرج	محاصرة ابو العباس الوطاسي	19
موقع انماي	935 هـ	مع الوطاسيين – لم يشر للعدد	20
موقع ابي عقبة	943 هـ	مع الوطاسيين انتهى بصلح قسم البلاد بموجبه .	20
دخول فاس	956	محمد الشيخ / لم يذكر عدد الجيش / القضاء على الوطاسيين	29
دخول مكناس	957 هـ	محمد الشيخ / جموع خفيرة – حروب سياسية (تدخلت فيها القوى الخارجية)	29
مع ابو حسون	961هـ	تدخل الاتراك لجانبه / جيش حافل	30
فتح تلمسان	957	حصار طويل / جموع عديدة	30
وقعة موضع مسلمة	961	استرجاع فاس	31
معاودة فتح تلمسان	967	عهد الغالب / لم يشيرا الى العدد	36
وقعة وادي اللبن	965	ضد الاتراك / جيش حفيل	50
وقعة الركن	983	بين المعتصم والمتوكل / 4000 تركي	62
قتدق الريحان	984	بين المنصور والمتوكل	63
ث. داوود بن عبدالمومن	1580/988	انتقل الى الجنوب قصدا لتمكن من الوصول الى الاتراك	85
ثورة الناصر	1595/1003	امده الاسبان بالعون – حروب سياسية اسرية	100
وادي الكاهرا	946	بين محمد الشيخ واحمد الاعرج انهزم فيها الاخير .	22

موقعة	عهد		
موقع حواتة	عهد زيدان	بين ابوفارس وزيدان/لم يشير الى العدد	192
موقع اكلميم	1015 هـ	بين ابو فارس ومحمد الشيخ الاصغر /جيش الاخير 3000	193
موقع جبانكار	بعد المنصور	بين زيدان ومحمد الشيخ / قتل من جيش زيدان 5500	194
موقع وادنفلفلت	" " "	بين زيدان ومحمد الشيخ /قتل من جيش مراكش 2000	194
" "رأس العيش	" " "	بين زيدان ومحمد الشيخ /عدد جيش مراكش 36 الف	194
""جبل جيلز	" " "	بين محمد بن عبد المومن ومحمد الشيخ /انهزم الاخير	195
–	1016 هـ	بين محمد بن عبد المومن واخيه زيدان /انهزم محمد/لم يشر للعدد	195
واديبوركراك	1017 هـ	بين عبد الله بن محمد الشيخ وزيدان /انهزم الاول	195
–	1018 هـ	بين مصطفى ومحمد الشيخ مع ابو فارس /انهزم الاول	196
–	1028 هـ	بين عبد الله الشيخ واخوه محمد بن الشيخ /انهزم الاول	234
وادي بهت	1029 هـ	بين عبد الله بن الشيخ واخوه	"
		ـ حروب سياسية قبلية :	
	964 هـ	باكلاكل قتل فيها محمد الشيخ	43
حركة جبال درن الايقاع بعرب الغرب ث.بنقرقوش	عصر المنصور 1588/996	عدد جيش المنصور80 الف قام ببلاد الهبط /عدد الجيش السعدي 6000جندي.لم يتطرق لهما الوفراني	

-	1020 هـ	بين ابي محلي وزيدان/قتل نحو 3000 من جيش زيدان	208
-	1022 هـ	بين ابي محلي وزيدان	209
وقعة المترب	1020	بين اهل فاس والشراقة	234
اضطرابات فاس	" " "	ثورات اللمطيين (المربوع)	"
موقع بوعقبة	1047 هـ	محمد الشيخ مع الدلائيين	"
" ابي عقبة	1050 هـ	محمد الشيخ بن زيدان مع محمد الحاج الدلائي	281
		2) <u>الحروب الدينية</u>	
الغارات على الثغور	918 هـ	تم اخلاء آسفي وازموروا صيلا لم يشيرا الى عدد الجيش	19
حرب الثغور	947 هـ	اجلاء النصارى من فونتنت	41
محاصرة البريجة	1562م	الغالب، فشل الحصار/لم يشير للعدد (عدد كبير)	49
وادي المخازن	1578/986	تباين كبير في عدد الجيش	74
قرب المعمورة	بعد 1603	حرب العياشي مع النصارى قتل من النصارى 400	264
بوادي العرائش	" "	العياشي مع النصارى/قتل من الكفرة حوالي الالف	266
الحلف الكبير	" "	العياشي مع النصارى	267
موقع البريجة	1049 هـ	العياشي مع النصارى/قتل العياشي زهاء 767 كافر	269
		3) <u>الحروب الاقتصادية</u>	
توات وتكورارين	989 هـ	مرحلة اولى لتقصي الطريق نحو السودان	87
فتح السودان	999 هـ	104000 جندي للعدو	93

بالنسبة لحرب السودان ونظرا للمقاومة التي ابداها السودانيون فقد تعددت المعارك غير ان اهمها حملة جودر ثم حملة محمود باشا.

4) الحروب البحرية : (تابع للملحق)

لم يشر اليها صاحب المصدر (الوفراني) وهي في الحقيقة بعيدة عن الحروب السعدية ، الا انها في فترة الحكم السعدي .وفي واقعها تعلقت بالنشاط القرصني في منطقة المحيط الاطلسي والتي استهدفت السفن الاوربية القديمة والذاهبة من والى العالم الجديد.

لائحـــة المصادر والمراجـــع

1 - المصادر والمراجع العربيـــة

أ - مصادر ومراجع أصلية :

- الفشتالي (عبد العزيز) : مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا - ت. عبد الكريم كريم -
مكتبة كلية الاداب هـ/1289
مطبوعات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلاميـة
- الوفراني (محمد الصغير) : نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي - ت. هوداس - الطبعة الثانية مكتبة الطالب الرباط/مكتبة الاداب ج /6331س
- كريم (عبد الكريم) : المغرب في عهد الدولة السعدية
شركة الطبع والنشر - الدار البيضاء
- حركات (ابراهيم) : المغرب عبر التاريخ - المجلد الثاني
مكتبـة كلية الآداب ج 2287ض
- العروي (عبد الله) : تاريخ المغرب
ت. دوقان قرقوط - الطبعة الاولي المؤسســة العربية لدراسات والنشر - بيروت
- حجي (محمد) : الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين
الطبعة الاولى - فضالـــة .
- زاهر رياض : الممالك الاسلامية في غرب افريقيا واثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى
مكتبة الانجلو المصرية 1968 القاهرة
مكتبة كلية الاداب ج 3692
- كنون (عبد الله) : رسائل سعدية (تحقيق)
المكتبة العامة البيضاء

ب - مراجع ثانويـة :

- بنجلون (عبد الله) : معركة الوادي ش.ط.ن الرباط
- ابن خلدون : مقدمة ابن خلدون الطبعة الاولى 1978

ج - بحوث جامعية :

- الجهاد في العهد السعدي بالمغرب .
اسم الطالب : محمد بنخليفة - الاستاذ المشرف: د. ابراهيم شحاتة حسن رقم 6084 السنة الجامعية 77 / 78

2 - المراجع والمصادر الاجنبية :

- Les sources inedites d'histoire du Maroc (de Castrie - R. Ricard P. de Genival) Fac de lettre . 050,I.053 - 050,I.63 .

- Revues hesperis :
- 1972 (Fasc I T XIII) A. Dzunbinsky : l'armée et la Flotte de Guerre Marocaines à l'époque des sultans de la dynastie Saadienne .
- 1923 (4éme Tr) . De Castries : la conquête ddu soudan par El Mansour.
- 1924 (2éme Tr) . M. Délafosse : les relations du Maroc avec le soudan à travers les ages .
- 1953 (1er et 2éme Tr) G. Pianel : Les préliminaires de la conquête du soudan.
- 1937 (4éme Tr) R. Ricard : Les portugais et l'Afrique du Nord sous Jean III .
- 1968 (Fasc I) Mohamed Hajji : l'idée de nation au Maroc aux XVI et XVII Siècles .

- J. Brignon , A. Amine : histoire du Maroc Imp. André Tardy - Bourges Hatier 1968 .

- Luiz de Sousa : Les portugais et l'Af du NORD de 1521 à 1557 T. R. Ricard - ed : les belles lettres . Bib. Lycée My Dris : M.506 .

- Damiao de Gois : les portugais au Maroc de 1495 à 1521 . Tr R. Ricard Pub: de I.E.M. Bib . Lycée Dris . M. 472 .

- Henri Terrasse : histoire du Maroc .

- Roger le Tourneau : les débuts de la dynastie Saadienne . I.E.S.I. d'alger ; Bib. Lycée My Dris . M. 379 .

- A. Cour etablissement des dyn . des Cherifs au Maroc .

- J. Berand - Villars : L'Empire de Gao . Paris - Librairie Plon 1942 .

محتويات الموضوع